فضل العشر الأول من ذي الحجة

وقفات شرعية مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

العدد ٤٣٢ - السنة السادسة والثلاثون - ذو الحجة ١٤٢٨هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

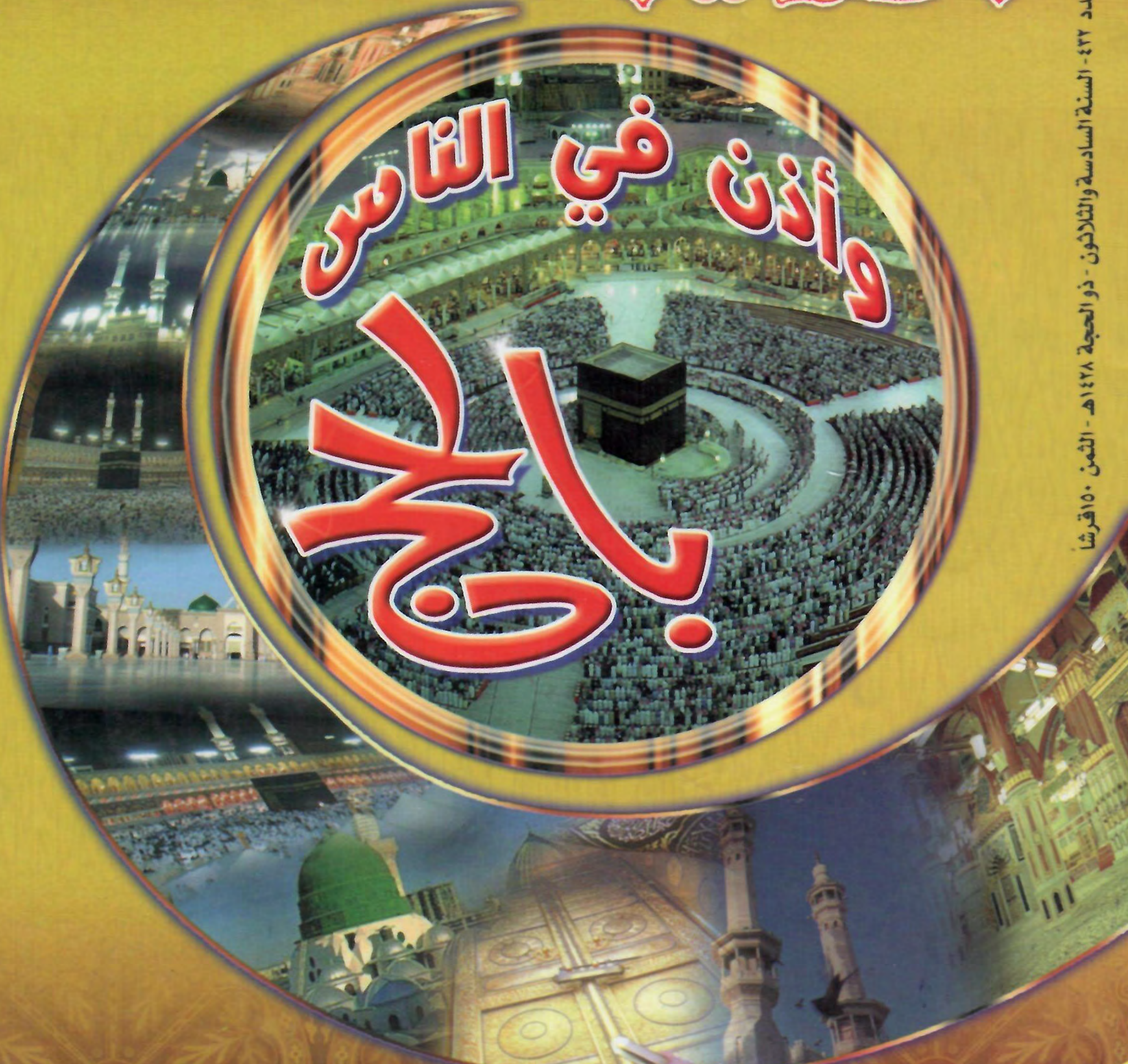

من دروس الحج

مسابقة السنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة
التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السادسة والثلاثون
العدد ٤٣٢ ذو الحجة ١٤٢٨هـ

التوحيد
من دروس الحج

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧- فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦- ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

المنع والعطاء

خطب المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة، وكان بعض الناس قد بخَّلوه، فقال في خطبته: أيها الناس: إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على فيئه أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلني الله عليه قفلا: إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم، وإذا شاء أن يقفلني عليه أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا البيت الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه إذ يقول: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » أن يوفقني للصواب، ويسددني للرشاد، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل، فإنه سميع مجيب، فقال بعض الناس: أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه.

(تاريخ الخلفاء ١/ ٢٢٩).

التحرير

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على
٣٥ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٥ سنة كاملة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد : بقلم : الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: بقلم : رئيس التحرير ٦
من وصاياه الجامعة ﷺ : د: عبد العظيم بدوي ١٠
باب السنة: من البيوع المنهي عنها : زكريا حسيني ١٤
فضل العشر الأول من ذي الحجة: سعيد عامر ١٨
درر البحار ٢١
خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين ٢٣
د . عبد الله شاكر
منبر الحرمين: من دروس الحج: حسين بن عبد العزيز ٢٦
الأضحية أحكام وآداب : أيمن دياب ٣٠
من فضائل الحج: عبده الأقرع ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة ٤٢
متولي البراجيلي
التوسل بين أهل السنة والصوفية ٣٨
معاوية محمد هيكل
حكم الردة في الإسلام : محمود المراكبي ٤٧
باب الأسرة: الأسرة المسلمة في الحج ٥٠
جمال عبد الرحمن
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
الغلو عند اليهود والرافضة: أسامة سليمان ٥٧
منهج السلف في تاويل الصفات: د . محمد عبد العليم ٥٩
حدث في مثل هذا الشهر ٦٢
استجيبوا لربكم: شوقي عبد الصادق ٦٤
باب التراجم: فتحي أمين عثمان ٦٧
وقفات شرعية مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية: ٦٩
مستشار/ أحمد إبراهيم

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي -فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم/ ١٩١٥٩٠)

البريد الإلكتروني

المجلة :
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير :
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات :
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت :
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام :
WWW.ELSONNA.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٦٤٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢١٠ دولار لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفرع أنصار السنة المحمدية

م دار « الجمهورية » للصحافة

الافتتاحية

رسالة النبي محمد ﷺ شاهدة بصدقه

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين.. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى إخوانه من المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

سيرة الرسول ﷺ شاهدة بصدقه

فلقد كانت سيرة خاتم النبيين وإمام المرسلين من أعظم آيات صدقه ودلائل نبوته، أدبه ربه ورباه، وصنعه على عينه، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق، وجعله قدوة صالحة وأسوة حسنة لكل من يرجو الله واليوم الآخر. عرفه أهل الجاهلية صادقاً أمينا، ما جربوا عليه كذباً قط، ولم يتكلم في صباه ولا في شبابه حتى بلغ أربعين سنة في شيء من علوم الأولين، فلما جاءه أمين الوحي جبريل بمطلع سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] لم يدُر بخَلَده أن قومه سيقفون منه موقف المخالف المعادي، فحين قال له ورقة بن نوفل: يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: «أو مخرجي هم ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

النبي ﷺ يبلغ رسالة ربه

أنزل الله تبارك وتعالى عليه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، وقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾، فقام ﷺ مشمراً عن ساعد الجد يدعو إلى الله طيلة ثلاثة وعشرين عاماً.

وقف على جبل الصفا ودعا بطون قريش حتى اجتمعوا إليه فقال لهم: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فانفَضُّوا عنه ولم يستجب منهم أحد، بل قال له عمه أبو لهب: «تبا لك ألهذا جمعتنا؟»

تحمل العذاب في سبيل الدعوة

ثم تحمل هو وأتباعه أشد ألوان العداء والاضطهاد واضطر أتباعه إلى الهجرة إلى بلد بعيد إلى الحبشة، ثم اضطروا إلى الهجرة إلى يثرب بعد ثلاثة عشر عاماً واستطاع النبي ﷺ أن يرسي دعائم المجتمع المسلم في المدينة المنورة فعاهد وسالم وجاهد في سبيل الله حتى دانت جزيرة العرب للإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ورأى النبي ﷺ وأصحابه ثمار دعوتهم وجهادهم، وأظهره الله على من عاداه.

ثمار الدعوة

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣٢-٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح ٢٧-٢٨].

لقد عبرت هذه الآيات عن سيرة النبي محمد ﷺ أصدق تعبير فلم تعرف الدنيا رجلاً أظهره الله كما أظهر محمداً ﷺ مع كثرة أعدائه وحساده الذين قاموا عليه يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن الله عز وجل أيد نبيه ﷺ وأظهر دينه على الدين كله. فالحمد لله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

دعوته ﷺ الملوك والأمراء

أرسل النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام فقال هرقل لأبي سفيان:

إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه، وقال هرقل لعظماء الروم: هل لكم في الفلاح والرشاد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ (البخاري كتاب بدء الوحي).

ومزق كسرى كتاب النبي ﷺ فدعا عليه فمزق الله ملكه، وافتتح المسلمون بلاد كسرى وقيصر وغنموا كنوزهما ببركة هذه الدعوة المباركة.

خطبة الوداع وإرساء دعائم الإسلام

وقف النبي ﷺ بعرفة يخطب الناس في حجة الوداع، ليثبت دعائم الإسلام ويهدم أركان الجاهلية فيقول: « أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعًا في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أيها الناس، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه رضي بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

أيها الناس، إن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمرًا بينًا، كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، المسلم أخ المسلم والمسلمون إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ فذكر لي أن الناس قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم اشهد.

أنموذج من مناظرة غير المسلمين

قال ابن القيم: (وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير عليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في أثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمدًا ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة. فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟ فقلت له: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم: إن محمدًا ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس

قد علم الخاص والعام أن محمداً رسول الله ﷺ أخبر أنه رسول الله إلى الخلق كافة، وأن من لم يتبعه فهو كافر.

برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثًا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحى إلي كذا؛ ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: إنه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم، فلا يخلو إما أن تقولوا إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا إنه خفي عنه ولم يعلم به، فإن قلتم لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادرًا على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك، أو لا، فإن لم يكن قادرًا فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعينه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب، فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد، قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟ قال: إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه، قلت له: غُلبتَ كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به؛ فامسك ولم يحر جوابًا. (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى).

حملة الإساءة مستمرة

منذ زمن ليس بالبعيد تعرض النبي الكريم محمد ﷺ لبعض ألوان الاستهزاء في بعض دول أوروبا وتحديداً الدانمارك والنرويج، وكان هذا الاستهزاء في صورة مسابقة للرسوم الكاريكاتورية، وقد حركت هذه الإساءات جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فخرجت المظاهرات المنددة بهذه الإساءات، وفشت الدعوة إلى مقاطعة المنتجات، وتحرك بعض علماء الدعوة إلى هذه الدول لتعريف هؤلاء الناس منزلة النبي الكريم ﷺ، واعترض البعض على هذا الأسلوب الذي يفتح الباب واسعاً لمداهنة هؤلاء المعتدين والمجرمين، وبعد فترة وجيزة عم الهدوء وخفتت الأصوات وانشغل المسلمون بواقعهم الأليم وكأن شيئاً لم يكن، ولأجل هذا فإن مسلسل الإساءة لم يتوقف ولن يتوقف، بل إنه يزداد سوءاً يوماً بعد يوم في داخل بلاد المسلمين وخارجها، ويرحم الله زمن العز والتمكين حيث كان من يسب رسول الله ﷺ يتعرض للمحاكمة وتوقع عليه أقصى عقوبة وهي القتل كما قرر ذلك علماء المسلمين. [«الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»].

أقول هذا لأنني طالعت مقالاً لأحد القساوسة الأقباط ممن يسمون أنفسهم أقباط المهجر، يرد فيه على كاتب مصري، لم يقتصر هذا القس على الرد على الكاتب المسلم، وإنما ذهب يتطاول على سيد الخلق ﷺ وصحابته الكرام بكلام ننزه مجلة التوحيد عن ذكره فيها، مما يدل على حقد دفين عند هذا القسيس وأمثاله ممن لا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل حرفوا الكلم عن مواضعه، ويدعون القداسة لرهبانهم، بينما ينسبون لله تعالى الصاحبة والولد، ولسان حالهم يفصح عن تقديسهم للبشر تقديسًا أعظم من تقديسهم لرب البشر سبحانه، ولقد جاء في الحديث القدسي

قال ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبين عيسى نبي ».

الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد». (رواه البخاري ٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥)

فمن نسب لله الولد، أو جعله ثالث ثلاثة، أو قال: إن الله هو المسيح فقد شتم الله تعالى.

فإذا كان هؤلاء يسبون الله تعالى، فليس غريبًا عليهم أن يسيئوا إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ. فالتطاول على سيد المرسلين كان ولا يزال دأبهم عبر الزمان.

وأقول لهذا القس: إن محمداً ﷺ سيد ولد آدم، وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود، والحوض المورود، والمبعوث إلى الناس كافة، لا ينال من قدره ولا من كرامته ما يقوله أمثالك.

وأصحاب محمد ﷺ هم خير قرون هذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، فليسوا قتلة ولا سفاحين، وإنما هم قديسون أطهار أبرار، قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩].

أما محمد والمسيح صلوات ربي وسلامه عليهما فهما أخوان بينهما أخوة الإيمان والنبوة والرسالة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، الأنبياء إخوة لعلات، وليس بيني وبين عيسى نبي »، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » وفي رواية: « من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ».

وصدق المسيح عيسى بن مريم إذ يقول كما قص ربنا تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٦، ٧].

وأقول لمن يدخلون مع هؤلاء المغرورين في معارك كلامية: لا ينبغي لمحمد ﷺ أن يُسب بكم أو بسببكم.

روى أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ نَظَرَ عُمَرُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الْحَمِيدِ أَوْ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ شَكَّ أَبُو عَوَانَةَ وَكَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدًا، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُ يَا مُحَمَّدُ فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، قَالَ: وَجَعَلَ يَسُبُّهُ، قَالَ: فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا ابْنَ زَيْدٍ، ادْنُ مِنِّي، قَالَ: أَلاَ أَرَى مُحَمَّدًا يُسَبُّ بِكَ؟ لاَ وَاللَّهِ لاَ تُدْعَى مُحَمَّدًا مَا دُمْتُ حَيًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي طَلْحَةَ لِيُغَيِّرَ أَهْلُهُمْ أَسْمَاءَهُمْ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعَةٌ وَسَيِّدُهُمْ وَأَكْبَرُهُمْ مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ إِنْ سَمَّانِي مُحَمَّدًا يَعْنِي إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: قُومُوا لاَ سَبِيلَ لِي إِلَى شَيْءٍ سَمَّاهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وصدق الله إذ يقول: « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ».

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كلمة التحرير

أهل السُنَّة المنْسِيُّون في إيـــران ... والأزهــــر المُغَـيَّب عن قيـــادة العـــالم !!

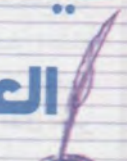

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ونحن على أبواب موسم من أعظم مواسم الطاعات التي تتجلى فيه معاني العبودية في أسمى صورها، والأمة على موعد مع مؤتمر إسلامي كبير يأتي كل عام .. يأتي الموسم العظيم ليذكرنا بكلمة التوحيد التي هي مفتتح الدعوات والرسالات والتي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ونصب الموازين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وجُردت من أجلها سيوف الجهاد، وهو حق الله على العباد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك، والله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر ولله الحمد.

فبيت الله الحرام الذي هو قبلة الموحدين ما برح يطاول الزمان وهو شامخ البنيان، في حماية من الله وأمان رفع قواعده بأمر الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، إعلانًا للتوحيد الخالص، ورمزًا ومنارة للموحدين عبر السنين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٦]، فمن أجل التوحيد بنى بيت الله ؛ لتكون العبادة له وحده وليس لأحد سواه، وإن معظم الشرور والبلايا والنكبات التي أصابت أمة الإسلام والتي حلت بها إنما كانت بسبب ضعف التوحيد في النفوس.

السنة المستضعفون في إيران !!

وإذا كنا نتحدث عن موسم المسلمين الكبير حيث يجتمع المسلمون من كافة أنحاء المعمورة جاءوا من كل فج عميق ليرفعوا راية التوحيد ملبين ومهللين، فإننا لا ننسى

أبدًا إخوة لنا من أهل التوحيد ؛ إنهم أهل السنة في إيران، وهي قضية المنسيين والمغيبين عن العالم الإسلامي، هذا يجعلنا نطوّف حول أهل السنة في إيران لنتعرف على أحوالهم، فسكان إيران يبلغون أكثر من خمسة وسبعين مليون نسمة، وتتنوع الملل والمذاهب بها، فالشيعة يمثلون ٦٥٪، والسنة تبلغ نسبتهم ٢٥٪، والطوائف اليهودية والنصرانية والبهائية والزرادشتية ١٥٪.

والمسلمون السنُّة والذي يصل تعدادهم- حسب المصادر الرسمية - إلى أكثر من عشرين مليون نسمة ينقسمون إلى ثلاث قبائل رئيسية هم: التركمان والأكراد والبلوش، ونسبة قليلة من العرب في إقليم الأحواز، ونظرًا للتهميش المتعمد لأهل السنة في إيران لأنهم ليسوا من الفرس ؛ لذلك فهم يعيشون أوضاعًا سيئة، ويعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، في نفس الوقت الذي كانت الأنظمة في إيران لا تعترف بل تنكر قيامها باضطهاد أهل السنّة والقيام بتعذيبهم.

سياسة الإقصاء والتهميش لأهل السنة في إيران!!

يعاني أهل السنّة في إيران من سياسة الإقصاء والتهميش والتعذيب والتنكيل في ظل حُجُب من التعمية والتعتيم على أخبارهم أمام العالم الإسلامي، يُعتدى على حريات أهل السنة ويضيق عليهم في إقامة شعائرهم، من ذلك حظر بناء المساجد السنية في المدن والعواصم الكبرى التي تمثل الشيعة فيها الأغلبية مثل أصفهان وشيراز ويزد وطهران التي يوجد فيها أكثر من مليون سني، ناهيك عن عموم المساجد والمدارس حيث تعتبر الحكومة الإيرانية مساجد السنة مساجد ضرار أو أنها بنيت بغير إذن الحكومة الإيرانية!!

كذلك يتم اضطهاد العلماء والخطباء والأئمة وتقيد حريتهم، ويمنع الكثير منهم من الخطابة والتدريس، بل ويقّتلون الرموز والقيادات المؤثرة ويواصلون سياستهم في إغلاق المدارس الدينية والتضييق على أهلها.

الحقوق السياسية والمدنية لسنة إيران!!

وفي ظل الاضطهاد للسنة في إيران والذي يتعرض له إخواننا هناك منذ الأيام الأولى للثورة الإيرانية وانقلاب الخميني على من ساعده من علماء السنة في القيام بالثورة وهو الشيخ أحمد مفتي زادة الذي كان مصيره الاعتقال، والذي استمر طيلة عقدين من الزمان، فقد كان هناك إصرارٌ على عدم تمثيل أهل السنة في البرلمان بما يتناسب مع حجمهم الحقيقي ؛ إذ لا يمثلهم سوى اثنى عشر نائبًا، بينما يمثل الشيعة ما يزيد عن مائتين وخمسين نائبًا شيعيًا.

وقد تعاملت الحكومة الإيرانية بمنطق المراوغة السافرة وبالأساليب الملتوية، ومع أن الرئيس الإيراني الحالي «محمود نجاد» في خطوة غير مسبوقة قام بتعيين الشيخ السني «محمد إسحاق المدني» مستشارًا له لشئون أهل السنة في إيران، غير أن المتابعين للواقع السياسي الإيراني يرون أن هذا التعيين مجرد مبادرة شكلية لا تغير من مجريات الأحداث شيئًا.

العداء التاريخي بين السنة والشيعة

وإذا كنا نتحدث عن الاضطهاد الذي يلاقيه إخواننا من أهل السنة في إيران، فلابد لنا من إلقاء الضوء حول أوضاعهم، فالنظام في إيران قد دعم حالة الخلاف والعداء التاريخي والمذهبي بين الشيعة والسنة حتى أججوا نار الفتنة بإقامة أحد المزارات الرئيسية في إيران لقبر أبي لؤلؤة المجوسي- عليه لعنة الله- يحتفلون به لمجرد أنه قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتتعرض مساجد أهل السنة القليلة لرقابة صارمة وملاحقات مستمرة، ولا يُسمح لأهل السنة بإقامة مدارس خاصة بهم، في الوقت الذي يوجد فيه معبدًا للزرادشتية «عبدة النار» في قلب طهران.

ويتعرض النخب من المسلمين السنة في إيران لأحوال معيشية بالغة الصعوبة بين السجون والمنفى، بينما يموت بعضهم الآخر بطرق وحوادث مدبرة من الشيعة بغرض تحجيم دور أهل السنة ودفعهم إلى القوقعة والانزواء!!

كما أن أهل السنة في إيران ممنوعون من أخذ حقوقهم التي تنص عليها المادة (١٢) من

الدستور الإيراني والتي تنص على أحقية أتباع أحد المذاهب التي تمثل الأكثرية في منطقة ما من أن تكون الأحكام المحلية الخاصة بهم منفذة في الواقع.

كذلك حرمان أهل السنة من تولي المناصب الوزارية، وتقويض شئون الأوقاف السنية بإدارة سائر الأمور الدينية ومنها اختيار أئمة الجمعة والجماعات وإدارة المدارس الدينية، والمطالبة بالعدالة في التنمية الاقتصادية للمناطق السنية!!

الأزهر والدور المنشود والمأمول في قيادة العالم

وإذا كان أعداء الإسلام لا يتوانون لحظة في ضرب الأزهر والعمل على اضمحلاله حتى لا يتبوأ مكانته التي ينتظرها المسلمون في شتى بقاع العالم، فقد مضى على الأزهر أزمان متعاقبة وهو يؤدي دوره العظيم في قيادة الأمة الإسلامية، إلا أن أعداء الإسلام يبذلون قصارى جهدهم من أجل إضعاف هذا الدور واضمحلاله؛ تمشيًا مع سياسة الضعف والهوان التي يريدها أعداء الإسلام أن تسود العالم الإسلامي وما يبذلونه من تكريس لهذا الضعف بمزيد من المؤامرات، إلا أن صرخة إخواننا أهل السنة في إيران ومناشدتهم للأزهر وشيوخه لانقاذهم مما هم فيه من الاستضعاف؛ بعد أن حصروهم في حدود مصطنعة، وحرموهم من أقل الحقوق الإنسانية لم نجد لها صدى.

وفي الوقت الذي عجز أهل السنة عن مجرد إقامة مسجد لهم في طهران، اهتمت إيران عبر أنظمتها الحاكمة بالراوفض؛ فأقامت لهم المساجد والحسينيات يدبرون فيها الكيد والمؤامرات لأهل السنة.

نُذكر علماء الأزهر بأن يعطوا إخوانهم السنة في إيران مزيدًا من الاهتمام، وأن يتذكروا أن لهم إخوة يُسْقَون كأس المرارة والذل ليل نهار، ويواجهون خطر الإكراه على التحول إلى المذهب الرافضي والتشيع، وهذا نداء من إخوان لهم في العقيدة يعانون أشد المعاناة، فهل من ملبٍ وهل من مجيب؟ هذا ما نأمله ونرجوه.

مركز أمريكي في جامعة الأزهر يديره الأمريكان!!

ومع اقتراب مؤتمر المسلمين مازلنا نتلقى الضربات، ضربة تلو الأخرى، ومازال همهم تغييب الأزهر وإبعاده عن قيادة العالم، وفي ظل الضعف والهوان، تناسينا الحملات الأمريكية والغربية المنظمة للهجوم على الإسلام بداية من إعلان الرئيس الأمريكي بوش الحرب على الإسلام والمسلمين، ومرورًا باتهام الإسلام بأنه دين العنف والإرهاب، وأنه قد نُشر بحد السيف إلى أن تم وصف الأزهر الشريف منارة العلم في العالم بأنه مفرخة للإرهاب والإرهابيين، وإذا بنا نفاجأ وعلى مرأى ومسمع من الجميع بالأزهر وشيوخه يغضون الطرف عن كل ذلك فاتحين أذرعتهم لأعداء الإسلام، حيث نراهم يحتفون وللأسف الشديد بزيارة السفير الأمريكي له لأول مرة، وافتتاحه لمركز «أمريكي» داخل الأزهر لتعليم اللغة الإنجليزية والذي تتحمل الإدارة الأمريكية جميع تكاليفه، كما أن مدير المركز وجميع أساتذته من الأمريكان !!

وتُعدُّ هذه الخطوة المثيرة للجدل والسخط بين علماء الأزهر، وأبناء الشعب المصري الذين اعتبروا هذه الخطوة مرحلة جديدة من مراحل التدخل الأمريكي السافر في أدق خصوصياتنا كمسلمين، وفي شئون أزهرنا الحبيب.

ومن الأمور المثيرة للدهشة والعجب أن إدارة الأزهر ومشيخته قد بدأت في دراسة هذا المركز منذ عامين في تكتم تام، وطبقًا لمصادر مطلعة تؤكد أن السفارة الأمريكية قدمت هذه الفكرة أواخر عام ٢٠٠٥ واقترحت تمويل المركز والإشراف عليه، وتوصلت إدارة الأزهر في النهاية إلى الاتفاق مع السفير الأمريكي بالقاهرة «ريتشارد دوني» على تحمل السفارة نصف التكاليف من قيمة تأسيس المركز وصيانته، إلا أنه ومع بداية التنفيذ في يوليو الماضي قررت السفارة الأمريكية الإشراف على إنشاء المركز بصورة كاملة، كما رشحت لإدارته مديرًا أمريكيًا من قِبل السفارة مع أساتذة أمريكيين تتحمل السفارة رواتبهم جميعًا ويكون الهدف واضحًا وجليًا أمام الجميع من إنشاء هذا المركز «العين الخفية» لمساندة من يقوم بكتابة التقارير التي ترفعها

السفارة بدورها للإدارة الأمريكية فضلاً عن خلق جيل «متأمرك» من الأزهر عن طريق اتباع سياسة غسيل المخ والدماغ التي يتبعها الأمريكيون للوصول إلى أهدافهم من اختراق الدين الإسلامي الحنيف عبر الأزهر الشريف!!

بدع وضلالات على مرأى ومسمع من أزهرنا الشريف

فالله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، وفي ظل تغييب أزهرنا الشريف عن قيادة مصر والعالم الإسلامي في كل ما يتعلق بأمور ديننا الحنيف، نتساءل: هل أصبح كل شيء قابلاً للتجديد والابتداع؟! هل أصبحنا نعيش عصرًا تهب فيه رياح التحديث والتجديد من كل جانب لتصيب كل شيء حتى تصل لأعز وأقدس شيء على وجه الأرض وهو كلام الله عز وجل (القرآن الكريم) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنجد بدعة جديدة تطل علينا وهي تسجيل القرآن الكريم مصحوبًا بموسيقى تصويرية ومؤثرات صوية على CD (الأسطوانة الممغنطة).

فتصاحب الآيات الكريمة أثناء تلاوتها أصوات رياح وعواصف، وأصوات حيوانات، ومؤثرات أخرى تلقي الرعب في نفوس المستمعين عند تلاوة الآيات التي تتحدث عن العذاب، وتنذر الكفار والمشركين بعقاب وعذاب شديد، وكذلك الآيات التي تتحدث عن السحر، بينما تسمع أصوات غدير المياه والعصافير والبلابل عند تلاوة الآيات التي تتحدث عن الثواب العظيم الذي يناله المؤمنون في نعيم الجنة.

وعلى سبيل المثال عند تلاوة سورة يوسف وحين يُقرأ قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

فنجد صوت عواء ذئب مصاحبًا لهذه الآيات.

وحين يقرأ قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]. يسمع صوت صرير الباب، وهو يغلق ويفتح، وهكذا في كافة الآيات المسجلة على هذه الأسطوانة الممغنطة.

وعلى الرغم من أن هذه التسجيلات قد أثارت انتقادات واسعة، إلاَّ أنها صدرت بتصريح من الأزهر يحمل رقم ٩٩ لسنة ٢٠٠٥، وهي من إنتاج شركة الراية للإنتاج والتوزيع ومسجلة بصوت أحد المنشدين الدينيين، وإننا لنتساءل: هل يجوز بأي حال من الأحوال أن توضع مؤثرات صوتية أو موسيقية تصاحب تلاوة القرآن الكريم ؟!

واللهِ إنه العبث بعينه بكلام الله عز وجل ! وأين ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٤]، وهو أمر من المولى عز وجل بالإنصات لكلامه وتعظيم آياته، والقرآن الكريم أعظم وأجلُ من أن يُستعان معه بشيء خارجي ومؤثرات تقوي من تأثيره في نفس المستمع، فهو الكلام الذي خشعت له الجبال وتزلزلت له الأرض قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

بل إن فصحاء مكة من الكفرة لما سمعوا القرآن الكريم لم يتاملكوا أنفسهم من إعجازه وبيانه؛ فاعترفوا بعظمته وأقروا بروعته وتأثيره في النفوس، فقال قائلهم: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما هو بقول البشر».

فهل هان قرآننا علينا إلى هذا الحد، يا لها من جرأة على آيات الله عز وجل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والله عز وجل ناصر دينه وحافظ كتابه من عبث العابثين، وكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وحقد الحاقدين، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

من وصاياه الجامعة ﷺ

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني رسولُ الله ﷺ بتسع: «لا تُشرك باللهِ شيئًا وإن قُطِّعْتَ أو حُرِّقت، ولا تتركَنَّ الصلاةَ المكتوبةَ متعمدًا، ومن تركها متعمدًا برئت منه الذمةُ، ولا تشربنَ الخمرَ فإنها مفتاحُ كل شرٍّ، واطع والديكَ، وإن أمراكَ أن تخرجَ من دُنياكَ فاخرج لهما، ولا تنازعن وُلاةَ الأمر وإن رأيت أنكَ أنت، ولا تفرَّ من الزحف وإن هلكت وفرَّ أصحابُك، وأنفق من طولكَ على أهلكَ، ولا ترفع عصاك عن أهلك، وأخفهم في الله عزَ وجل». [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وحسنه الألباني].

هذه وصايا جامعة، من وصايا من بعثه ربُّه رحمة للعالمين، ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، في التمسك بها سعادة الدارين، وقرّة العينين، وكل وصية منها جديرة بأن تفرد وحدها بشرح، ولكننا سنحاول الإلمام بها دون خلل ولا تقصير.

الوصية الأولى: «لا تشرك بالله شيئًا وإن قُطعت أو حُرقت». فإن الشرك ظلم عظيم، وضلال مبين، يحبط الأعمال ويوجب الذل والخسران، ويحرم على صاحبه الجنان، ويدخله النيران، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والشرك نوعان: شرك أصغر، وشرك أكبر.

فأما الأصغر فمنه الرياء، كما قال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. [صحيح].

ومنه الحلف بغير الله، قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». [صحيح].

وأما الشرك الأكبر فهو اتخاذ العبد ندًا من دون الله، يواليه موالاة الله، ويحبه كحب الله، يرجوه في السراء، ويلجأ إليه في الضراء، ويتقرب إليه بأنواع العبادة التي لا تجوز إلا لله، فنذره له، وذبحه له، ودعاؤه له، ونداؤه له، إذا وقع في كربة قال يا فلان، وإذا ضاقت به الأمور لجأ إلى أصحاب القبور: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢]، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

فيا أيها المسلم الموحِّد: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا نَزلت بك نازلة فقل يا الله، وإذا ضاقت عليك الدنيا بأسرها ففر إلى الله، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[النمل: ٦٢- ٦٤].

الوصية الثانية: «ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمدًا، ومن تركها متعمدًا برئت منه الذمة»، أي العهد.

فإن الله أخذ العهد على نفسه لكل مسلم يحافظ على الصلاة أن يدخله الجنة، فمن ترك الصلاة متعمدًا فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وخذله الله، ولم يكن له عند الله عهد، كما قال ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من أتى بهنّ لم يضيّع منهنّ شيئًا استخفافًا بحقهنّ كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له». [صحيح].

فحافظ- رحمك الله- على الصلاة فإنها عمود الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن ضيّعها فقد ضيّع الدين، وهي أول ما فُرض من العبادات، وأول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال، وقد مدح الله المحافظين عليها، ووعدهم الفردوس، أعلى درجات الجنة، وسقفه عرش الرحمن، فقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١- ٩].

وذمّ مضيّعها وتوعده فقال: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، وليست إضاعتها تركها بالكلية بل السهو عنها والغفلة عن أوقاتها، كما قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤، ٥].

أما الذين لا يصلون أبدًا فقد توعدهم الله بسقر، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

[المدثر: ٣٨- ٤٣].

فحافظوا عباد الله على الصلاة كما أمركم الله، واعلموا أن المحافظة على الصلاة تكون بإسباغ وضوئها، والحرص على أول وقتها، وشهود الجماعة فيها، والخشوع، وإتمام الركوع والسجود، وحسن التلاوة وتدبر معانيها، فمن فعل ذلك كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن ترك الصلاة متعمدًا فليس له عند الله عهد.

الوصية الثالثة: «ولا تشربن الخمر فإنها مفتاح كل شر»:

قد بيّن النبي ﷺ ما يترتب على شربها من الشر فقال: «الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه، وخالته، وعمته». [حديث حسن].

لأنها تخمّر العقل أي تغطيه، فيكون هو والبهيمة سواء، فلا يفرق بين امرأة وامرأة، ولا بين زوجته وأمه وخالته وعمته.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه كان يقول: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غويّة، فأرسلت إليه جاريتها تدعوه لشهادة فدخل معها، فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطنة خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، وقد دعوتك لتقع عليّ، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر، فاختار الخمر، فسقته كأسًا، فقال: زيدوه، فلم يزل حتى وقع عليها وقتل الغلام، فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدًا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه. [صحيح].

لذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩٢]. يعني وقد أدّاه، فقد حذر ﷺ من الخمر وبالغ في التخويف من مغبتها، ومن أقواله في ذلك: «الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يومًا، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية». [حديث حسن].

«مدمن الخمر كعابد وثن». [حديث حسن].

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والمنان بما أعطى». [صحيح].

«إن على الله عهدًا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال». قيل: وما طينة الخبال ؟ قال: «عرق أهل النار». [صحيح].

فهل يشرب بعد ذلك إلا من سفه نفسه ؟!

الوصية الرابعة: «وأطع والديك».

فإن الله أمرك بطاعتهما في كل برّ ما لم يكن إثمًا، وفي كل مباح ما لم تكن معصية، فإن فضلهما عليك عظيم، وحقهما عليك كبير، ومن في الدنيا قدّم لك ما قدّمه أبوك، ومن في الدنيا خدمك كما خدمتك أمك ؟! لذلك فرض الله طاعتهما، وأمر ببرهما، فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

فأطع والديك، «وإن أمراك أن تخرج من دنياك فاخرج لهما»، يعني لو أرادا مالك كله فلا تمنعهما، فأنت ومالُك لأبيك، كما قال ﷺ، فمهما طلبا فأعطهما، وأنت معتقدٌ حق الاعتقاد أنك مقصّر في حقهما، ولم تجزهما منه شيئًا، كما قال ﷺ: «لا يجزي ولدٌ والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه». [صحيح].

الوصية الخامسة: «ولا تُنازعنَّ وُلاة الأمر وإن رأيت أنك أنت»:

يعني لو رأيت أنك أفضل من وليّ الأمر الموجود، وأحق منه بالولاية فلا تنازعه فيها، ولا تخرج عليه، ولا تنزع يدًا من طاعته، فإن استتباب الأمن، واستقرار الأمر، من أسباب التمكن من العبادة، والقيام بالوظيفة التي خلق الله الخلق من أجلها، ومنازعة ولاة الأمر فيها ما فيها من الفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار، بحيث لا يتمكن الإنسان من القيام بحق الله عز وجل، ولذلك كثرت الأحاديث في الحث على طاعة أولي الأمر- وإن جاروا- والنهي عن الخروج عليهم، ومنها قوله ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة».

وقوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله». [صحيح]. وقيل: يا نبي الله ؛ إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا، فأعرض عنه ثلاثًا، فقال: «اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم». [صحيح].

وقوله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌ خلفه نبيٌ، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون». قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: «أوفوا ببيعة الأول، ثم أعطوهم حقهم واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم». [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما». [صحيح].

وقوله ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه». [صحيح].

الوصية السادسة: «ولا تفرّ من الزحف وإن هلكت وإن فر أصحابك».

لقد وصف اللهُ الكفارَ بالجبن فقال: ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]. والعلة: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣]. وأعلمنا الله تعالى أن المؤمن الصابر يغلب عشرة من الكفار، ثم خفف عنا فجعل المؤمن الصابر يغلب اثنين من الكفار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ (٦٥) الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

ثم أعلمنا الله أن عاقبتنا دائمًا إلى الخير، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] أي النصر أو الشهادة، فنحن دائمًا فائزون، فلا داعي للفرار إذن، ولذلك نهانا الله عنه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

وعدّ النبي ﷺ الفرار من الزحف من المهلكات، فقال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: وما هنّ يا رسول الله ؟ فذكرهنّ وعدّ منهن «الفرار يوم الزحف». [متفق عليه].

ولقد ضرب رجال من أصحاب النبي ﷺ المثل الأعلى في الثبات أمام العدو، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرينّ اللهُ ما أصنع، فلما كان يومُ أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء- يعني الصحابة- وأبرأ إليك مما صنع

هؤلاء- يعني المشركين- ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ: الجنةُ وربِّ الكعبة، إني أجد ريحها من دون أُحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع! قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةً برُمح، أو رميةً بسهم، ووجدناه قد قُتل ومثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

[الأحزاب: ٢٣].

الوصية السابعة: «وأنفق من طولك على أهلك»:

الطَوْل معناه السعة والخير، ونفقة الأهل من الزوجة والأولاد ونحوهم واجبة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال ﷺ : «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل في بيته راعٍ وهو مسئول عن رعيته».

[متفق عليه].

فيجب عليه القيام بهذه المسئولية خير قيام، ومنها النفقة على أهله مما آتاه الله، فإن حبس عنهم النفقة وبخل بها فقد أثم، كما قال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت». [حديث حسن]. وإن أنفق عليهم أُجِر، كما قال ﷺ: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة». [حديث حسن].

وقال لسعد بن أبي وقاص: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك». [متفق عليه].

وكان ﷺ يرغب في النفقة على الأهل والعيال فيقول: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك». [صحيح].

وكان ﷺ يقول: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله». [صحيح].

ولابد هنا من التنبيه على أدب من آداب النفقة وهو الاعتدال فيها بين البخل والإسراف، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فالبخل الذي يفضي بالزوجة والأولاد إلى الخيانة بل إلى ارتكاب الجريمة أحيانًا ممنوع، وكذلك الإسراف والتبذير الذي يفضي بالأولاد إلى الفساد من التدخين وغيره ممنوع، فلابد أن يكون العائل عاقلاً يعطي بحذر، ويراقب عن كثب، ليعرف أين تذهب هذه الأموال؟ وماذا يصنع الولد بما يعطي من مال أبيه، حتى لا يفسده المال ولا يطغيه.

الوصية الثامنة: «ولا ترفع عصاك عن أهلك»:

فـ «علّق سوطك حيث يراه أهلك» حتى ينزجروا، فلا يتهاونوا بواجب، ولا يقعوا في محرّم.

الوصية التاسعة: «وأخفْهم في الله عز وجل»:

فإن الخوف سَوْط يُساق به الإنسان نحو طاعة الله عز وجل، والابتعاد عن معصيته، فاحرص دائمًا أيها الأب على أن تكون مهابًا في بيتك، يهابك الصغير والكبير، ويخافون عقابك، فلا يفرطون في فريضة، ولا يرتكبون معصية.

إن ربّ الأسرة كقائد السفينة، هو المسئول عن وصولها إلى برّ الأمان بسلام، والناس في هذه الدنيا مسافرون إلى الآخرة، فإما نجاة تستقر بهم في دار السلام، وإما هلكة تفضي بهم إلى دار البوار، وربّ الأسرة مكلف بالحرص على نجاتها، ووقايتها من التهلكة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ووقايتهم إنما تكون بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومعاقبتهم على ترك المعروف وفعل المنكر.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقال النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». [حديث حسن].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، وهذا الضرب ضرب تأديب وتربية لا ضرب تشفٍّ وانتقام، ضرب تقتضيه الرحمة وتدفع إليه الشفقة حتى يصل الرجل بأهله إلى دار السلام بسلام، كما قال القائل:

قسى ليزدجروا ومن يك راحمًا
فليقس أحيانًا على من يرحم

وهكذا جمعت هذه الوصايا فأوعت، فصلى الله وسلم على من وصانا بها، ونسأل الله سبحانه التوفيق للعمل بها.

من البيوع المنهي عنها

الحلقة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد الهادي البشير، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـد:

فنواصل الحديث عن البيوع التي نهى عنها الشارع، وقد تكلمنا عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما لم يقبضه، وعن بيع الغرر وأنواعه، وعن البيع على بيع أخيه، وحديثنا في هذا الشهر بحول الله وقوته عن:

٥- بيع الميتة والخمر والخنزير والأصنام:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو بمكة عام الفتح: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله، رأيت شحوم الميتة فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «قاتل الله اليهود، إن الله لمَّا حرَّم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع (باب بيع الميتة والأصنام) برقم (٢٢٣٦)، وأخرج الجزء الأول الخاص بالخمر في كتاب المغازي (باب: ٥١)، وأخرج الجزء الأخير الخاص باليهود في كتاب التفسير باب: قوله: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾.

كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب (تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام)، برقم (١٥٨١)، كذا أخرجه أبو داود في البيوع، باب في ثمن الخمر والميتة برقم (٣٤٨٦)، وأخرجه الترمذي في البيوع باب (ما جاء في بيع جلود الميتة والأصنام) برقم (١٢٩٧)، وأخرجه النسائي في البيوع باب (بيع الخنزير) برقم (٤٦٧٣)، وأخرجه ابن ماجه في التجارات باب (ما لا يحل بيعه) برقم (٢١٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد في مسند جابر بن عبد الله برقم (٣/٣٢٤- ح١٤٤٧٢)، ورقم (٣/٣٢٦- ح١٤٤٩٥).

إعداد/ زكريا حسيني

شرح الحديث

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: (باب بيع الميتة والأصنام) أي: تحريم ذلك، والمَيْتَةُ- بفتح الميم-: ما زالت عنه الحياة بغير ذكاة شرعية، والمِيْتة بكسر الميم اسم الهيئة، وليست مرادًا هنا. ونقل ابن المنذر الإجماع على تحريم بيع الميتة، ويستثنى من ذلك السمك والجراد، والأصنام جمع صنم (جاء في المعجم الوسيط الصنم تمثال حجر أو خشب أو معدن، كانوا يزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله)، وقال في لسان العرب: الصنم معروف واحد الأصنام، يُقال: إنه مُعَرَّبُ شَمَنْ، وهو الوثن، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن، وقيل: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت

ويعبد، والصنم الصورة بلا جثة. قال ابن حجر: فبينها عموم وخصوص وجهي، فإن كان مصورًا فهو وثن وصنم».

جاء في سياق سند الحديث عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (عام الفتح وهو بمكة) فيه بيان تاريخ ذلك وكان ذلك في رمضان سنة ثمان من الهجرة، قال الحافظ: ويحتمل أن يكون التحريم وقع قبل ذلك، ثم أعاده ﷺ ليسمعه من لم يكن سمعه.

قوله: «إن الله ورسوله حرَّم». قال الحافظ: هكذا وقع في الصحيحين بإسناد الفعل (حَرَّم) إلى ضمير الواحد، وكان الأصل أن يقول: «حَرَّمَا». فقال القرطبي: إنه ﷺ تأدب، فلم يجمع بينه وبين اسم الله تعالى في ضمير الاثنين، لأنه من نوع ما رد به على الخطيب الذي قال: «ومن يعصهما» كذا قال، ولم تتفق الرواة في هذا الحديث على ذلك، فإن في بعض طرقه في الصحيح: «إن الله حرَّم»، وليس فيه: «ورسوله»، وفي رواية لابن مردويه من وجه آخر عن الليث: «إن الله ورسوله حرما»، وقد صح حديث أنس رضي الله عنه في النهي عن أكل الحمر الأهلية: «إن الله ورسوله ينهيانكم». ووقع في رواية النسائي في هذا الحديث: «ينهاكم»، والتحقيق جواز الإفراد في مثل هذا، ووجهه الإشارة إلى أن أمر النبي ﷺ تابع لأمر الله عز وجل، وهو نحو قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾. والمختار في هذا أن الجملة الأولى حذفت لدلالة الثانية عليها، والتقدير عند سيبويه: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه، وقيل أحق أن يرضوه خبر عن الاسمين، لأن أمر الرسول تابع لأمر الله تعالى.

قوله: «أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس» أي: فهل يحل بيعها لما ذكر من المنافع فإنها مقتضية لصحة البيع؟

قوله: «فقال: لا، هو حرام». قال الحافظ: أي البيع، هكذا فسره العلماء كالشافعي ومن اتبعه، ومنهم من حمل قوله: «هو حرام» على الانتفاع بها، فقال: يحرم الانتفاع بها، وهو قول أكثر العلماء، فلا ينتفع من الميتة أصلاً عندهم إلا ما خص بالدليل وهو الجلد المدبوغ، واختلفوا فيما يتنجس من الأشياء الطاهرة، فالجمهور على الجواز. وقال أحمد وابن الماجشون: لا ينتفع بشيء من ذلك، واستدل الخطابي على جواز الانتفاع بإجماعهم على أن من ماتت له دابة ساغ له أن يطعمها لكلاب الصيد، فكذلك يسوغ دهن السفينة بشحم الميتة ولا فرق.

قوله: «ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: قاتل الله اليهود» إلخ، وسياقه مشعر بقوة ما أوله الأكثر أن المراد بقوله: «هو حرام» البيع لا الانتفاع.

وروى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر مرفوعًا: «الويل لبني إسرائيل، إنه لما حرمت عليهم الشحوم باعوها فأكلوا ثمنها، وكذلك ثمن الخمر عليكم حرام»، ولهما أيضًا من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعًا: «إن الخمر حرام شراؤها وثمنها».

ثم قال الحافظ: قال جمهور العلماء: العلة في منع بيع الميتة والخمر والخنزير النجاسة، فيتعدى ذلك إلى كل نجس، والعلة في منع بيع الأصنام عدم المنفعة المباحة، فعلى هذا إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع برُضَاضِها (أي فُتَاتها ودُقَاقها)، جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم، والأكثر على المنع حملاً للنهي على ظاهره، والظاهر أن النهي عن بيعها للمبالغة في التنفير عنها، ويلتحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى، ويحرم نحت جميع ذلك وصنعته، وأجمعوا على تحريم بيع الميتة والخمر والخنزير.

وبعد، فإذا كان الله ورسوله قد حرما بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام كما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث، وبيَّن الله تحريم شرب الخمر وجعلها رجسًا من عمل الشيطان، فكيف يسوغ لبعض المجتمعات الإسلامية أن تتعاطى ما حرم الله تعالى بحجة السياحة أو غيرها؟ فإن الله تعالى حرم الخبائث، وحرم ما فيه ضرر للأبدان والأنفس، وكذا بيع الأصنام ونشرها في البلاد ونصبها في

الميادين، بحجة أنها رمز للتراث القديم وترويج للسياحة، والإسلام حذر من الأصنام ومن اتخاذها آلهة، والناس اليوم يجادلون في أمرها، مع أن بعضها منصوب في ما يسمى بالمعابد، ويقف الناس أمامها موقف خشوع وتعظيم، وهذا ما نهى عنه الإسلام.

فلا ينبغي لمسلم أن ينهى اللهُ ورسولُه عن شيء ويرتكبه، فإن في ذلك إعراضًا عن أحكام الله تعالى، واستحسانًا من البشر لما حرمه الله تعالى ومحادةً لله ورسوله، وهذا ما يجلب سخط الرب تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، فهل تفيق الأمة من غفلتها وتعود لربها وتقلع عن إعراضها وتنكرها لخالقها وأحكام دينها وتقليدها للكفرة الفجرة من أهل الغرب أو الشرق ممن لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، بل فسدت طباعهم وانتكست فطرهم فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وانشغلوا بالدنيا وزخرفها، فأصبحنا نجري وراءهم مقلدين متطلعين إلى رفاهية الحياة الدنيا بمتاعها الزائل، معرضين عن عبادة الله التي من أجلها خلقنا.

فلن يفلح المسلمون إلا إذا رجعوا إلى أحكام دينهم فبنوا عليها حياتهم فيحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرم الله، يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، حينئذ يعز الله المسلمين وينصرهم على أعدائهم لأنهم نصروا دينه، فالله تكفل بنصر من نصره، بل شرط لنصره عباده أن ينصروه، فقال عز من قائل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، فاللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً، وخذ بنواصينا إلى الحق واجعلنا من أتباع دينك الداعين إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- تحريم ثمن الكلب:

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي وحلوان الكاهن.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في أربعة مواضع من صحيحه أولها في كتاب البيوع باب ثمن الكلب برقم (٢٢٣٧)، وثانيها في الإجارات باب كسب البغي برقم (٢٢٨٢)، وثالثها في كتاب الطلاق باب مهر البغي والنكاح الفاسد برقم (٥٣٤٦)، ورابعها في كتاب الطب باب الكهانة برقم (٥٧٦١)، كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب تحريم ثمن الكلب وحلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنور برقم (١٥٦٧)، وأبو داود في البيوع باب في حلوان الكاهن برقم (٣٤٢٨)، وباب في أثمان الكلاب برقم (٣٤٨١)، والترمذي في البيوع باب ما جاء في ثمن الكلب برقم (٢٢٧٦)، والنسائي في البيوع باب بيع الكلب برقم (٤٦٧٠)، وابن ماجه في التجارات باب النهي عن ثمن الكلب برقم (٢١٥٩)، وأخرجه مالك في الموطأ في البيوع باب ما جاء في ثمن الكلب.

▪▪ شرح الحديث ▪▪

قوله: «نهى عن ثمن الكلب»، ظاهر النهي تحريم بيعه، وهو عام في كل كلب، معلمًا كان أو غيره مما يجوز اقتناؤه أو لا يجوز، ومن لازم ذلك ألا قيمة على متلفه، وبذلك قال الجمهور، وقال مالك: لا يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه، وعنه قول آخر يوافق فيه الجمهور، وعنه قول ثالث يوافق فيه أبا حنيفة أنه يجوز بيعه وتجب القيمة على متلفه، وقال عطاء والنخعي: يجوز بيع كلب الصيد دون غيره، وروى أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب وقال: إن جاء يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه ترابًا». وإسناده صحيح، وروى أيضًا بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي».

والعلة في تحريم بيعه عند الشافعي: نجاسته

مطلقًا، وهي قائمة في المعلّم وغيره، وعلة المنع عند من يرى عدم نجاسته النهي عن اتخاذه والأمر بقتله، ولذلك خص منه ما أذن في اتخاذه، ويدل عليه حديث جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب صيد». أخرجه النسائي بإسناد رجاله ثقات إلا أنه طعن في صحته، وقد وقع في حديث ابن عمر عند ابن أبي حاتم بلفظ: «نهى عن ثمن الكلب وإن كان ضاريًا»، يعني مما يصيد، وسنده ضعيف، قال أبو حاتم: هو منكر، وفي رواية لأحمد: «نهى عن ثمن الكلب، وقال: طعمة جاهلية»، ونحوه للطبراني من حديث ميمونة بنت سعد، وقال القرطبي: مشهور مذهب مالك جواز اتخاذ الكلب وكراهية بيعه، ولا يفسخ إن وقع، وكأنه لما لم يكن عنده نجسًا وأذن في اتخاذه لمنافعه الجائزة كان حكمه حكم جميع المبيعات، لكن الشرع نهى عن بيعه تنزيهًا لأنه ليس من مكارم الأخلاق، قال: وأما تسويته في النهي بينه وبين مهر البغي وحلوان الكاهن فمحمول على الكلب الذي لم يؤذن في اتخاذه.

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار: روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن ثمن الكلب من حديث علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي مسعود الأنصاري وأبي هريرة وأبي جحيفة ورافع بن خديج وغيرهم رضي الله عنهم. قال محقق كتاب الاستذكار:

الأثر عن علي بن أبي طالب في مسند زيد، والرواية عن ابن عباس في سنن أبي داود وفي معرفة السنن والآثار للبيهقي، وأما حديث أبي مسعود فهو الذي معنا ونحن بصدد شرحه، وحديث أبي هريرة أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، وحديث أبي جحيفة أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد والطحاوي والطبراني والبيهقي والبغوي، وحديث رافع بن خديج أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، ثم علق على قول ابن عبد البر عند قوله: «وغيرهم» فقال: روي أيضًا من حديث السائب بن يزيد ومن حديث الفاروق عمر، ومن حديث جابر.

قال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ بعد أن ساق حديث الباب: يعني بمهر البغي ما تعطاه المرأة على الزنا، وحلوان الكاهن رشوته وما يعطى على أن يتكهن.

قال أبو عمر بن عبد البر: لا خلاف بين المسلمين في أن مهر البغي حرام، وهو على ما فسره مالك، لا خلاف في ذلك. والبَغيُّ: الزانية، والبغاءُ الزنا. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ يعني: زانية، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي على الزنا.

قال: وكذلك لا خلاف في حلوان الكاهن أنه ما يعطاه على كهانته، وذلك كله من أكل المال بالباطل، ثم قال: والحلوان في أصل اللغة: العطية.

وبعد، فإن أناسًا يقتنون الكلاب من غير حاجة لا حراسة ولا صيد ولا غير ذلك، بل للتمتع بمنظرها وتربيتها، وربما للافتخار باتخاذها، ومنهم من يصحبها معه في بيته وسيارته، مقلدين بذلك غير المسلمين، وإذا نوقش أحدهم في ذلك نقل إليك ما رآه في بلاد الغرب من العناية بالكلاب والقطط مما يفوق العناية بالإنسان، فعندهم الكلاب والقطط مفضلة على البشر، وهذا من انتكاس الفطر، وقلب الموازين، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾، وربما غالى بعضهم في أثمان هذه الكلاب التي لا تصلح إلا للزينة والترف والرفاهية، وأما الكلب المُعلَّمُ المأذون في اتخاذه فليس مقصودًا للقوم، لكن مقصودهم ما يفسد الطباع، ويعلن عن مخالفة الشرع وارتكاب ما نهى عنه سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، يحرص على ذلك كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم، مقلدين الكافرين مظهرين ضعفهم وذلتهم وقوة الكفار وعزتهم، ولو علموا أن العزة في طاعة الله تعالى واتباع رسوله ﷺ لتغير حالهم وتبدل إلى الصالحات من الأعمال، والحسن من الأخلاق ومكارمها، ولسعدوا في الدنيا التي يحرصون على السعادة فيها، ولفازوا بجنات النعيم في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويلهمنا اجتنابه، وأن يصلح أحوال المسلمين، ويردهم إلى دينهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فضل العشر الأول من ذي الحجة
١٠
ذو الحجة

فضل العشر الأول من ذي الحجة

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله أولاً وآخراً، أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فمن المقرر عند عباد الله أن لله عز وجل خواص ونفحات في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، ومن الأزمنة المباركة العشر الأول من ذي الحجة، قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ١-٥].

«والفجر»: أقسم الله عز وجل بالفجر، والله عز وجل له أن يقسم بما شاء، بخلاف المخلوق فليس له أن يقسم إلا بالله عز وجل، وأحرف القسم ثلاثة: الواو، والباء، والتاء.

أقسم الله بـ «الفجر»، والفجر هو الصبح الذي هو بدء النهار، وللعلماء أقوال منها: وقت الفجر، أو صلاة الفجر، أو جميع النهار، ولكن أي فجر المراد في الآيات؟ بعض العلماء قالوا: عموم الفجر. والبعض قالوا: فجر يوم النحر، والبعض قالوا: فجر العاشر من ذي الحجة. روى ابن كثير عن مسروق قال: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. (مختصر ابن كثير ٣/٦٣٥).

«وليالٍ عشر»: قال الحافظ ابن كثير: والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة، وهو قول ابن عباس والزبير ومجاهد وغيرهم، وهذا رأي جمهور العلماء. فإن جعلنا الفجر خاصًا بيوم النحر، كان عشر ذي الحجة أقرب للسياق، وهي الأيام المعلومات، قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. والأيام المعدودات هي أيام التشريق، قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ

مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأقسم الله بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة إشعارًا بفضلها وتنويهًا بمنزلتها عند الله، ففي العشر يتوافد على بيت الله الحرام الحجاج والعمار، يسألون الله من فضله، ويرجون عفوه ومغفرته من جميع الذنوب والآثام، ومن فاته الحج، لم يفته أن يتقرب إلى الله بخير الأعمال من صيام أيامها وقيام لياليها.

روى البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». (ح: ٩٦٩). فأي إفضال من الله تعالى أسمى من هذا الإفضال؟ وأي نوال أحسن من هذا النوال؟

وفي رواية لأبي داود: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام». يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».

وهذا يدل على فضل أيام عشر ذي الحجة على غيرها، وفضل العمل الصالح فيها، لكن أيهما أفضل: العشر الأُول من ذي الحجة، أم العشر الأواخر من رمضان؟

قال بعض أهل العلم: أيام العشر الأول من ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان، وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي العشر الأُول من ذي الحجة.

«والشفع والوتر»: قال النسفي: شفع كل الأشياء ووترها، أو شفع هذه الليالي ووترها، أو يوم النحر لأنه اليوم العاشر وهو شفع، ويوم عرفة، لأنه اليوم التاسع وهو وتر. إلخ.

فلو حملنا الفجر على أنه فجر يوم النحر، والليالي العشر أنها الأُول من ذي الحجة، كان بعد التعميم التخصيص، يوم عرفة، ويوم النحر، والشفع والوتر.

فضل يوم عرفة

وفضائل يوم عرفة كثيرة، ويكفى أنه نزل فيه قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وهذه أكبر نعمة من نعم الله على عباده.

ذكر الحافظ ابن كثير عن السدي: نزلت هذه الآيات يوم عرفة، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام.

وروى الإمام مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يُعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء». فيوم عرفة يوم العتق من النار، لذلك صار اليوم الذي يليه عيدًا لجميع المسلمين.

وأفضل الدعاء يوم عرفة، فقد روى الترمذي (وصححه الألباني) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

وصيام يوم عرفة يُكفر ذنوب سنتين كاملتين، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده». ومن ثم فينبغي لكل مسلم أن يجتهد في الدعاء والصيام وفعل الخيرات يوم عرفة، ومن السنة عدم صوم يوم عرفة لحجاج بيت الله الحرام.

يوم النحر

هو اليوم العاشر من ذي الحجة، «...والشفع» يوم عظيم مبارك، روى أبو داود (وصححه الألباني) من حديث عبد الله بن قُرط أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر، ثم يوم القَرّ». ويوم القَرّ: هو اليوم الذي يلي يوم النحر.

«والليل إذا يسر»:

اتفق المفسرون على المعنى: وهو سريان الليل، لكن الخلاف هل المراد به عموم الليل ؟ أم ليلة معينة وما هي؟

قال بالعموم بعض أهل العلم، كقول الله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾.

«وقال بالخصوص بعض أهل العلم، أي ليلة المزدلفة، قال الحافظ ابن كثير: قال عكرمة: يعني ليلة جمع، ليلة المزدلفة». (مختصر ابن كثير ٣/٦٣٦).

«هل في ذلك قسم لذي حجر»: أي هل في المقسم به في الأشياء المذكورة سابقًا- الأيمان التي أقسم الله بها- هل فيها كفاية لصاحب عقل، أصحاب العقول الذين يعقلون عن الله أمره، «لذي حجر» لذي عقل.

والمقسم عليه محذوف، قدره بعض العلماء بـ «لنعذبن الكافرين» يدل عليه قوله: «ألم تر...»، إلى قوله: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [٦- ١٤].

فالقسم هنا أبلغ قسم لأنه يخاطب العقول السليمة.

والقسم له أركان ثلاثة: مقسم، ومقسم به، ومقسم عليه، أي جواب القسم هنا.

في الآيات: ركنان: المُقسم: هو الله، والمقسم به: «والفجر»... «والليل إذا يسر».

أين جواب القسم ؟

القرآن بليغ. الجواب: مفهومٌ من المنطوق الذي بعده، والمفهوم ؛ إن الموت اتٍ لا محالة، وإن البعث حق لا شك فيه، وإن الحساب دقيق لا مجاملة معه، إن عذاب الكافرين واقع، وعقاب المفسدين في الأرض ليس له دافع.

الدليل على ذلك: الأمم الخالية التي تمردت على منهج الله، فأهلكها الله هلاك الاستئصال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾...

ما دامت أيام ذي الحجة زاهرة، ولياليها زاخرة، ماذا نصنع فيها ؟ نكثر من الدعاء والاستغفار والذكر والشكر والصيام... إلخ. وفعل الخيرات وعمل الصالحات.

أما أهل الموقف: فيلتقون في المسجد الحرام، وعند زمزم والمقام يلبون ويذكرون ويصلون، يسألون الله من فضله، ويرجون عفوه ومغفرته من جميع الذنوب والآثام.

وهم زوّار الله وأضيافه، والكريم يكرم أضيافه، فيتم لهم حصول المغفرة بالإخلاص وصدق العمل، كما يمنحهم الله فضل المجاهدين، كما يضاعف لهم الأجر والمثوبة، ويمنحهم الجزاء الأوفى، قال تعالى: ﴿ وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢١].

وروى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ فقال ﷺ : «أفضل الجهاد حج مبرور»، ولذا كان من هدي النبي ﷺ في العشر الأول من ذي الحجة قبل أن يحج:

١- صيام هذه الأيام ما عدا يوم النحر، ويؤكد على صيام يوم عرفة لغير الحاج.

٢- الاستعداد بالأضحية، وكان يضحي بكبشين أقرنين أملحين، فإذا صلى العيد وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه وقال: «اللهم هذا عن أمتي جميعًا، من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ». ثم يؤتى بالثاني فيذبحه بنفسه ويقول: «هذا عن محمد وآل محمد» فيطعمهما المساكين.

ولا يجوز بيع شيء منها كالجلد والشعر، إلا أن يكون صدقة.

وكان إذا أهل الشهر، ونيته أن يضحي: تشبه بالمحرمين للحج، وكان لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره حتى يذبح أضحيته يوم النحر.

وفقنا الله للعمل بشرعه، واتباع سنة نبيه ﷺ ، والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار
(٤٨)

مشروع تيسير حفظ السنة

إعداد
علي حشيش

من صحيح الأحاديث القصار

١٣٦٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك. قال: فيقول رسول الله ﷺ: «وَيْلَكُمْ قَدْ، قَدْ»(١)، فيقولون: إلاَّ شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. يقولُونَ هَذَا وهُمْ يَطُوفُونَ بالبيتِ. م(١١٨٥).

١٣٦٧- عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت: «كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ، وَيَوْمَ النَّحْرِ(٢) قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بالبيتِ بطِيبٍ فيه مِسْكٌ». م(١١٩١)، حم (٢٥٥٨٠)، ت (١٩١٧)، ن(٢٦٩١)، حب (٣٧٧٠)، وابن خزيمة (٢٥٨٣).

١٣٦٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ ضُبَاعَةَ بِنْتَ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المُطلبِ رضي الله عنها أَتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ. فَقَالَتْ: إِنِّي أُرِيدُ الحَجَّ، فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قال: «أَهِلِّي بالحَجِّ واشْتَرِطِي أَنَّ مَحِلِّي حَيْثُ تَحْبِسُنِي».
م(١٢٠٨)، حم (٣١١٧، ٣٣٠٢)، د(١٧٧٦)، ت(١٩٤١)، ن(٢٧٦٤)، (٢٧٦٦)، جه (٢٩٣٨)، دي(٣٨١١)، هق (٥/٢٢١)، حب (٣٧٧٥).

فائدة هامة: هو من حديث عائشة متفق عليه خ(٥٠٨٩)، م(١٢٠٧).

١٣٦٩- عن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: نُفِسَتْ أسماءُ بنتُ عُميسٍ بمُحمدِ بنِ أبي بكرٍ، بالشَّجرة(٣)، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أبَا بَكْرٍ، يَأْمُرُهَا أَنْ تَغْتَسِلَ وَتهلّ»م (١٢٠٩)، د(١٧٤٣)، جه(٢٩١١).

١٣٧٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أَمَرَنَا النبيُّ ﷺ لَمَّا أَحْلَلْنَا، أَنْ نُحْرِمَ إِذَا تَوَجَّهْنَا إِلى مِنًى قالَ فَأَهْلَلْنَا مِنَ الأَبْطَحِ»(٤). م(١٢١٤)، حم(١٤٤٢٥)، (١٥٠٤٣)، حب (٣٧٩٦)، هق (٥/٣١).

١٣٧١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقولُ: لَمْ يَطُفِ النبيُّ ﷺ ولاَ أصحابُهُ(٥) الصفَا والمَرْوَة إلاَّ طوافًا واحدًا». م (١٢١٥)، حم (١٤٤٢١)، د (١٨٩٥)، ن (٢٩٨٦)، حب (٣٨١٩)، جه (٢٩٧٣)، هق (٥/١٠٦).

فائدة هامة: قال النووي: هذا الحديث دلالة ظاهرة للشافعي وموافقيه، في أن القارن ليس عليه إلا طواف واحد للإفاضة وسعي واحد.

١٣٧٢- عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنهما قالت: خَرَجْنَا مُحْرِمينَ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَقُمْ على إحْرَامِهِ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحْلِلْ». فَلَمْ يكن مَعِي هَدْيٌ فَحَلَلتْ وكَانَ مَعَ الزُّبيرِ هَدْيٌ فلم يَحْلِل».
م (١٢٣٦)، حم (٢٧٠٨)، (٢٧٠٢٢)، ن(٢٩٩٢)، جه (٢٩٨٣).

١٣٧٣- عن مُسلمٍ القُرِّيِّ قال: سألتُ ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما عَنْ مُتْعَةِ الحَجِّ؟ فَرَخَّصَ فيها، وكانَ ابنُ الزبيرِ يَنْهَى عنْهَا. فَقَالَ: هَذِهِ أُمُّ ابْنِ الزُّبيرِ تُحَدِّثُ أَنَّ رسولَ اللهِ رَخَّصَ فيهَا فَادْخُلُوا عَلَيْهَا فَاسْأَلوهَا. قال: فَدخَلْنَا عَلَيْهَا، فإذَا امْرَأَةٌ ضَخْمَةٌ عَمْيَاءُ فقالت: قَدْ رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيها». م(١٢٣٨).

١٣٧٤- عن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ أَهَلَّ بِهِمَا جَمِيعًا «لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجًا، لَبَّيْكَ عُمْرَةً وحَجَّ».
م(١٢٥١)، حم (١١٩٥٨)، (١٢٨٩٩)، (١٢٩٤٥)، (١٣٨٠٨)، (١٤٠٠٤)، د(١٧٩٥)، ت(٨٢١)، ن(٢٧٢٨)، جه (٢٩٦٨)، (٢٩٦٩).

١٣٧٥- عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ(٦)، حَاجًا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا»(٧).
م(١٢٥٢)، حم(٧٢٧٧)، (٧٦٨٥)، (١٠٦٦٦)، (١٠٩٧٤)، حب (٦٨٢٠)، هق (٥/٢)، عبد الرزاق ح(٢٠٨٤٢)، والحميدي (١٠٠٥).

١٣٧٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَمَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ الحَجَرِ إلى الحَجَرِ ثلاثًا ومَشَى أَرْبعًا».
م (١٢٦٢)، ط(٨٧)، د(١٨٩١)، ن(٣٩٣٨- الكبرى)، دى (١٨٤٢).

١٣٧٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ رَمَلَ مِنَ الحَجَرِ الأسودِ حتَّى انْتَهَى إليهِ ثلاثةَ أطْوَافٍ». م(١٢٦٣)، ط(٨١٦)، حم (١٥١٧)، ت(٨٥٧)، ن(٢٩٤٤- المجتبى)، (٣٩٣٦- كبرى)، جه (٢٩٥١)، دي (١٨٤٠)، حب (٣٨١٣).

١٣٧٨- عن سُوَيدِ بنِ غَفَلَةَ قال: رأيتُ عُمَرَ رضي الله عنه قَبَّلَ الحَجَرَ والْتَزَمَهُ وقال: رأيتُ رسول ﷺ بكَ حفيًا».
م (١٢٧١)، حم (٢٧٤)، (٣٨٢)، ن(٢٩٣٦)، وابو يعلى (١٨٩)، والطيالسي (٣٤)، والبزار (٣٤١).

١٣٧٩- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: طَافَ رسولُ اللهِ ﷺ بالبيتِ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، عَلَى رَاحلتِهِ يَسْتَلِمُ الحَجَرَ بِمِحْجَنِهِ. لأَنْ يَرَاهُ النَّاسُ، وَلِيُشْرِفَ، وليسْألوهُ، فإنَّ النَّاس غَشُوْهُ»(٨). م(٢٧٣)، حم(١٤٤٢٢)، (١٤٥٨٥)، د(١٨٨٠).

١٣٨٠- عن أَبي الطُّفَيْلِ رضي الله عنه(٩) يقولُ: «رأيتُ رسُول اللهِ ﷺ يطُوفُ بالبَيْتِ ويَسْتلمُ الرُّكْنَ بمحْجَنٍ مَعَهُ، وَيُقَبلُ الْمحْجَنَ». م(١٢٧٥)، د(١٨٧٩)، جه (٢٩٤٩).

١٣٨١- عن الفَضْلِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وكانَ رَدِيفَ رسُولِ اللهِ ﷺ، أنَّهُ قال في عَشيَّةِ عَرَفَةَ وَغداةِ جَمْعٍ(١٠) للنَّاس حينَ دَفَعُوا: «عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ» وهُوَ كَافٌّ نَاقَتَهُ حَتَّى دَخَلَ مُحَسِّرًا (وَهُوَ مِنْ مِنى)، قال: «عَلَيْكُمْ بِحَصَى الخَذْفِ الذي تُرْمَى بِهِ الجمْرَةُ».
م(١٢٨٢)، حم (١٧٩٤)، (١٧٩٦)، (١٨٢١)، ن(٣٠٣٠)، (٣٠٥٢)، (٣٠٥٨)، دي (١٨٩١)، (١٨٩٢)، حب (٣٨٥٥)، (٣٨٧٢)، ابو يعلى (٦٧٢٤)، طب (٦٨٦)، هق (١٢٧/٥).

١٣٨٢- عَنْ عَبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: وَنَحْن بجمْعٍ: سَمِعتُ الذي أُنْزِلَتْ عَلَيْه سُورَةُ البَقَرَةِ يقُولُ في هذَا المَقَام: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ». م(١٢٨٣)، حم (٣٥٤٩)، (٣٧٣٩)، (٣٩٦١)، (٣٩٦١)، (٣٩٧٦)، ن(٣٠٤٦).

١٣٨٣- عن عبد اللهِ بن عُمر رضي الله عنهما قال: «غَدَوْنا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ منًى إلى عَرفَاتٍ مِنَّا المُلَبِّي وَمِنَّا المُكبِّرُ». م(١٢٨٤)، حم (٤٤٥٨)، (٤٧٣٣)، (٤٨٥٠)، د(١٨١٦)، ن(٢٩٩٨)، (٢٩٩٩)، دي (١٨٧٦).

١٣٨٤- عن عبدِ اللهِ بن عُمرَ رضي الله عنهما قال: جَمَعَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ المغربِ والعِشَاءِ، بِجَمْعٍ لَيْسَ بَيْنَهُما سَجْدَةٌ(١١)، وصلَّى المغربَ ثلاثَ ركعاتٍ، وَصلَّى العِشَاءَ رَكْعَتينِ»، قال عبيد الله بن عبد الله بن عمر: فكان عبد اللهِ يُصلي بِجمع كَذَلِكَ حَتى لحقَ بالله تعالى.
م(١٢٨٨)، حم (٤٤٥٢)، (٤٤٦٠)، د(١٩٣٠)، (١٩٣١)، (١٩٣٢)، ت(٨٨٨)، ن(٤٨٢)، (٤٨٣)، (٦٠٥)، (٦٥٦)، (٦٥٧)، (٦٥٨)، حب (٣٨٥٩).

١٣٨٥- عن ابنِ شَوَّالٍ أنهُ دَخَلَ على أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها فأَخْبَرَتْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ بِهَا مِنْ جَمْعٍ بِلَيْلٍ».
م (١٢٩٢)، ن(٣٠٣٥)، (٣٠٣٦).

١٣٨٦- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلته يَوْمَ النَّحْرِ ويَقُولُ: لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّيَ لاَ أَحُجّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ». م (١٢٩٧)، حم (١٤٥٥٩)، (١٤٦٢٤)، (١٤٩٥١)، (١٥٠٤٥)، د(١٩٧٠)، ن(٣٠٦٢).

١٣٨٧- عَنْ جَابرٍ رضي الله عنه قَال: «رَمَى رسولُ اللهِ ﷺ الجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ ضُحًى، وَأَمَّا بَعْدُ(١٢)، فَإِذَا زَالَتِ الشَمْسُ». م(١٢٩٩)، حم (١٤٣٦٦)، (١٤٣٦٧)، (١٤٤٤٤)، د(١٩٧١)، ت(٨٩٤)، (٨٩٧)، ن(٣٠٦٣)، (٣٠٧٥)، جه (٣٠٥٣)، (١٨٩٦)، حب (٣٨٨٦).

١٣٨٨- عَنْ جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الاسْتِجْمَارُ تَوٌّ(١٣)، ورَمْيُ الجِمَارِ تَوٌّ، والسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا والمرْوَةِ تَوٌّ، والطَّوَافُ تَوٌّ، وإذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجمِرْ بِتَوٍّ». م (١٣٠٠).

١٣٨٩- عَنْ يَحْيَى بْنِ الحُصَيْنِ عَنْ جَدَّتِهِ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ دَعَا للمُحلقينَ ثلاثًا، وللمُقصرِينَ مَرَّةً». م (١٣٠٣)، حم (٢٧٣٣٠)، (٢٧٣٣)، (٢٧٣٣٦).

فائدة: جدته: هي أم الحصين الأحمسية كذا في تحفة الأشراف ح(١٨٣١٢).

١٣٩٠- عَن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أَتَى مِنًى، فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بمنًى وَنَحرَ، ثُمَّ قَالَ للحلاَّقِ «خُذْ» وَأَشَارَ إلى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأيسَرِ، ثُمَّ يُعْطِيهِ النَّاسَ». م(١٣٠٥)، د(١٩٨١)، (١٩٨٢)، ت(٩١٢).

١٣٩١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَفَاضَ يَوْمَ النَّحْرِ ثُمَّ رَجَعَ فصلَّى الظُّهْرَ بمنًى».
م (١٣٠٨)، حم (٤٨٩٨)، د(١٩٩٨)، ن(٤١٦٨- الكبرى)، حب (٣٨٨٢)، (٣٨٨٣)، (٣٨٨٥)، هق (١٤٤/٥).

١٣٩٢- عن جَابرِ بْن عبدِ اللهِ رضى الله عنهما قال: «نَحَرْنَا مَعَ رسُول اللهِ ﷺ عَامَ الحُدَيبيةِ البَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، والبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ». م(١٣١٨)، ط (١٠٤٩)، حم (١٤٩٢٠)، د (٢٨٠٧)، (٢٨٠٨)، (٢٨٠٩)، ت(٩٠٤)، (٩٠٥)، (١٥٠٢)، ن(٤٤٠٥)، جه (٣١٣٢)، دي (١٩٥٥).

١٣٩٣- عن أنسٍ رضي الله عنه قال: مرّ رسولُ اللهِ ﷺ برجل يَسُوقُ بَدَنَةً فقال: «ارْكَبْهَا». فقال: إنَّها بَدَنَةٌ. قال: «ارْكَبْهَا» مَرتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. م(١٣٢٣)، حم (١١٩٥٩)، (١٢٠٤٠)، (١٢٧١١)، (١٢٧١١)، (١٢٧٣٥)، ن(٢٨٠٠)، (٢٧٩٩)، (٢٨٠٠).

الهوامش:

١- قَدْ، قَدْ: معناه كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا.
٢- الطيب يوم النحر: فيه دلالة لاستباحة الطيب بعد رمي جمرة العقبة والحلق وقبل الطواف (التحلل الاول).
٣- الشجرة بذي الحليفة. ٤- الأبطح: هو بطحاء مكة. ٥- اصحابه: اي من كان من اصحابه قارنًا.
٦- فج الروحاء: هو بين مكة والمدينة وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع.
٧- ليثنينهما: اي: يقرن بينهما. ٨- غشوه: ازدحموا عليه.
٩- ابو الطفيل: اسمه عامر بن واثلة اللَّيْثي هو اخر من مات من الصحابة.
١٠- غداة جمع: يعني المزدلفة. ١١- سجدة: يعني بالسجدة صلاة النافلة.
١٢- واما بعد: اي ايام التشريق الثلاثة فيرمي كل يوم منها بعد الزوال.
١٣- التو: هو الوتر والاستجمار: الاستنجاء والمراد بالتو في الجمار سبع وفي الطواف سبع وفي السعي سبع وفي الاستنجاء ثلاث.

خاتم الأنبياء والمرسلين
رحمة من رب العالمين

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرح صدورنا بالإيمان، والصلاة والسلام على النبي المجتبى والرسول المصطفى محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد تحدثت في اللقاء السابق عن بعض خصائص النبي ﷺ، ورددت على الأفاكين القائلين بأن النبوة لم تختم بسيد المرسلين ﷺ، وفي هذا اللقاء أذكر بعض وظائفه ﷺ، فأقول- وبالله التوفيق-:

إعداد/
د. عبدالله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

أولا: هداية العالمين إلى الصراط المستقيم

وقد أثبت القرآن ذلك للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، والمراد بالهداية هنا: هداية الدلالة والإرشاد إلى الحق الذي جاء من عند الله تعالى، وقد ظل ﷺ حياته كلها يدعو إلى الصراط المستقيم الذي أمره ربه باتباعه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقد أضاف الله الصراط إلى نفسه وأفرده، لأنه شرعه وطريقه، وهو طريق واحد لا يتعدد.

وفي مسند أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا»، وخط عن يمينه وشماله خطوطًا، ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

وروى ابن جرير بإسناده أن رجلاً قال لابن مسعود رضي الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جَوَادُّ(٢)، وعن يساره جوادُّ، وثم رجال يدعون من مرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: «وأن هذا صراطي مستقيمًا...»(٣).

ويلاحظ أن الله أفرد الصراط المستقيم وهو سبيل الله وجمع السبل المخالفة له، لأن الحق واحد، وما خالفه باطل. قال ابن كثير: «إنما وحَّدَ سبيله لأن الحق واحد»(٤).

وقال ابن عطية: «وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات، من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد. قال قتادة: اعلموا أن السبيل سبيل واحد ؛ جماعة الهدى، ومصيره الجنة، وأن إبليس استبدع سبلاً متفرقة ؛ جماعة الضلالة، ومصيرها إلى النار»(٥).

ومن هنا نهى الله تبارك وتعالى في آيات كثيرة

عن التفرق في الدين والانحراف عن السبيل السوي صراط الله المستقيم، وإن من الانحراف عن الصراط المستقيم ما نراه من الطرقية المبتدعين ومن شايعهم من المبدلين المغيرين الذين يتبعون أهواءهم بغير هدى من الله، ويرمون غيرهم بالجهل والضلال، أو الكفر أو الابتداع، والواجب على جميع المسلمين سلوك الصراط المستقيم، ورد الأمر عند التنازع إلى كتاب الله الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ ، وقد أمرنا الله في كتابه أن ندعوه في كل ركعة من ركعات الصلاة أن يهدينا صراطه المستقيم، فاللهم اهدنا إليه، واجعلنا من الداعين له.

ثانيًا: البلاغ والبيان

وقد خاطب الله نبيه ﷺ بذلك وأمره بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد امتثل ﷺ لهذا الأمر وقام به خير قيام، وقد شهدت له أمته بالبلاغ في خطبته يوم حجة الوداع، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب الناس في عرفات ومما قال: «وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات(٥).

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بها وقال: «هذا يوم الحج الأكبر»، فطفق النبي ﷺ يقول: «اللهم اشهد»، وودَّع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع(٦).

ومن زعم من الروافض بعد ذلك أن النبي ﷺ خصَّ آل البيت بشيء من الرسالة دون غيرهم فقد افترى على الله ورسوله ﷺ ، وضل ضلالاً مبينًا. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾»(٧).

وعن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر».

قال ابن حجر- رحمه الله- في شرحه للحديث: «وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت- لاسيما عليًا- أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها، وقد سأل عليًا عن هذه المسألة أيضًا قيس بن عُباد والأشتر النخعي وحديثهما في سنن النسائي(٨).

وقال المقريزي: «والحق الذي لا ريب فيه أن دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه، وجوهر لا سر تحته، وهو كله لازم كل أحد لا مسامحة فيه، ولم يكتم رسول الله ﷺ من الشريعة ولا كلمة، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ولد عمٍّ على شيء من باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتم شيئًا لما بلغ كما أمر، ومن قال هذا فهو كافر بإجماع الأمة(٩).

ثالثًا: التبشير والإنذار

وهو من المهمات الجليلة التي قام بها ﷺ ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وفي الآية ترتيب حسن جميل، وذلك من حيث إن النبي ﷺ أرسل شاهدًا لله بالوحدانية وأنه لا إله غيره، وعليه أن يُرَغِّب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يُرَهِّبُ بالإنذار، ويستمر في الدعوة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند(١٠).

وفي صحيح البخاري وغيره عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا

سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويُفتح به أعين عميٌ وآذان صم وقلوب غلف» (١١).

رابعا: إقامة الحجة على العباد وبيان أحكام الكتاب:

أما عن إقامة الحجة على العباد فقد قال فيها رب العالمين: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وفي صحيح البخاري عن المغيرة أن النبي ﷺ قال: «ولا أحد أحبُّ إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين» (١٢).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «وليس أحدٌ أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل» (١٣).

والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب إلا بعد الرسالة كثيرة، وأما عن بيانه لأحكام الكتاب فقد جاء ذلك صريحًا في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فالمبين لكل ما أنزله الله تعالى على المكلفين من التكاليف والأحكام هو رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولهذا أوجب الله طاعته والانقياد لأمره، وإلى جانب هذه الوظائف كان ﷺ على رأس العابدين لله، وقد وصفه ربه بلفظ العبودية في مواطن كثيرة في كتابه، وأمره ربه بها فقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت، وقد قام بهذه العبودية لله خير قيام ﷺ، لأنه يعلم أنه مخلوق مكلَّف من قبل ربه، وأنه خلق كغيره لعبادة الله، ولهذا نهى عن الغلو فيه ونصَّ في حديثه أنه عبد الله كما روى البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» (١٤).

ومع هذا كله فقد ذهب قوم من الناس وبعضهم ينسب نفسه إلى العلم وقالوا: إن الدنيا خلقت من أجل النبي ﷺ، حتى قال شاعرهم:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

هذا- والله- مخالفة صريحة لما جاء من عند الله تعالى، بل خلق الله سبحانه الثقلين الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لعبادته وحده دون سواه، وأن يتقبل منا صالح الأعمال والأقوال.

وللحديث صلة إن شاء الله.

الهوامش:

١- مسند أحمد ١/٤٦٥، والحاكم في المستدرك جـ٢/٣١٨، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١٧).
٢- جواد بالتشديد جمع جادة وهي الطريق.
٣- تفسير ابن جرير جـ٨/٦٥.
٤- تفسير ابن كثير جـ٢/٦٣٢.
٥- تفسير القاسمي جـ٦/٢٥٧١.
٥- صحيح مسلم كتاب الحج باب ١٩ جـ٢/٨٩٠.
٦- صحيح البخاري كتاب الحج باب ١٣٢ جـ٣/٥٧٤.
٧- المرجع السابق، كتاب التفسير جـ٨/٢٧٥.
٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١/٢٠٤.
٩- الخطط للمقريزي جـ٤/١٩٨.
١٠- تفسير ابن كثير.
١١- البخاري كتاب البيوع باب ٥٠ جـ٤/٣٤٢، وتفسير سورة الفتح جـ٨/٥٨٥.
١٢- البخاري كتاب التوحيد باب ٢٠ جـ١٣/٣٩٩.
١٣- مسلم- كتاب التوبة باب ٦ جـ٤/٢١١٤.
١٤- البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ٤٨ جـ٦/٤٧٨.

من دروس

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

معاشر المسلمين، شرع الله جل وعلا العبادات لحكم عظيمة ومقاصد سامية، وأسرار كثيرة، منها ما يعرفه الخلق، ومنها ما لم يدركوه.

وإن من تلك المنظومة فريضةُ الحجِّ، تلكم الفريضةُ التي عظمت في مناسكها، وجلّت في مظاهرها، وسمت في ثمارها، عظيمةُ المنافع، جمّة الآثار، تضمّنت من المنافع والمصالح ما لا يُحصيه المحصون، ولا يقدر على عدّه العادّون، انتظمت من المقاصد أسماها، ومن الحكم أعلاها، ومن المنافع أعظمَها وأزكاها، مقاصدُ تدور محاورها على تصحيح الاعتقاد والتعبّد، وعلى الدعوة لانتظام شمل المسلمين ووحدة كلمتهم، وعلى التربية الإصلاحية للفرد والمجتمع، والتزكية السلوكيّة للنفوس والقلوب والأرواح والأبدان.

وبالجملة ففي الحج من المنافع والمصالح التي لا تتناهى والمصالح التي لا تُجارَى ما شملَه عمومُ قول المولى جل وعلا: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [الحج:٢٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: (منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله جل وعلا، وأما منافعُ الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات) انتهى. [أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/٣٧].

وثمّة منافعُ يجب على الأمة الإسلامية أفراداً ومجتمّعات حكاماً ومحكومين أن يعُوها وأن يدركوا كنهَها، وأن يحقّقوها في حياتهم سلوكاً عملياً ومثالاً واقعياً، فيومَ تكون الأمة مستلهمةً رشدَها على نحو تلك الأهداف والمقاصد فستنال عزاً وشرفاً وخيراً ومجداً، قال أحدهم: «سيظلّ الإسلام صخرةً عاتية تتحطّم عليها سفن التبشير ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن؛ واجتماعُ الجمعة؛ ومؤتمر الحج». فما أحوجَ الأمةَ اليوم وهم يعانون فتناً متلاطمةً وشروراً متنوّعة وبلايا متعددة، ما أحوجهم أن يستلهموا من فرائض الإسلام العبرَ والعظاتِ والدروس الموجّهات لحياتهم وسلوكهم ونشاطهم وتوجّهاتهم. ما أجدر المسلمين أن يوجّهوا حياتهم من منطلقات دينهم، وأن يديروا شؤونَهم من حقائق قرآنهم، وأن يعالجوا مشكلاتهم وأدواءَهم على ضوء ما يوجّههم إليه خالقُهم، ويرشدهم إليه نبيهم.

الحج

لفضيلة الشيخ/
حسين بن عبدالعزيز آل الشيخ
إمام وخطيب المسجد النبوي

عباد الله، في دروس الحج تذكيرُ الأمة بأن أعظمَ ما يجب أن تهتمَ به وأن تحافظ عليه وأن تغرسه في النفوس وتبثّه في المناشط كلّها والأعمالِ جميعها تحقيقُ التوحيد لله سبحانه، تحقيق الغايةِ القصوى في الخضوع والتذلل له عز شأنه توجّهاً وإرادة، قصداً وعملاً. فهذه التلبية رمزُ الحج ومفتاحه التي أهلّ بها سيّد الخلق وإمام الأنبياء حين افتتح حجّته بالتوحيد كما يقول جابر: فأهلّ بالتوحيد: «لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». [مسلم ١٢١٨].

إهلالٌ يتضمن كلماتِ التلبية، ذاك المعنى العظيمُ والمدلول الدقيق ألا وهو روح الدين وأساسُه وأصله، وهو توحيد الله جل وعلا ونبذ الإشراك به بكلّ صوره وشتى أشكاله.

فالواجبُ على أفراد الأمة جميعاً أن يستحضروا ما دلّت عليه هذه الكلمات من معنى، وأن يعرفوا ما تضمّنته من دلالة، وأن يكونَ المسلم على دراية عظيمة بهذا المعنى في حياته كلّها، محافظاً عليه في كلّ حين وآن، مراعياً له في كلّ جانب، لا يسأل إلا الله، لا يستغيث إلا بالله، لا يتوكّل إلا على الله، لا يطلبُ المدد والعون والنصر إلا من الله، مستيقناً أنّ الخير كلّه بيد الله، وأزمّة الأمور بيده، ومرجعها إليه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. يقول ابن القيم رحمه الله: «وقد اشتملت كلماتُ التلبية على قواعدَ عظيمة وفوائد جليلة...» إلى أن قال في سياق تعداد فوائدها:

ومنها أن التلبيةَ تتضمّن التزامَ دوام العبودية، ولهذا قيل: هي من الإقامة أي: أنا مقيم على طاعتك. ومنها أنها تتضمّن الخضوعَ والذل، ومنها أنها تتضمّن الإخلاصَ لله جل وعلا» انتهى. [الحاشية على سنن أبي داود ٥/١٧٨].

فحريٌّ بالمسلم الموفّق أن يهتمَّ بتلك المعاني كلها، وأن يحققها في حياته بشتى جوانبها.

وإذا كان الأمرُ كذلك في حق الأفراد فالأمة أجمع حري بها أن تستلهم من الحج تلك الدروسَ والعبر، ولتعلمْ أن القاعدةَ الثابتة لاستقرار حياتها والمستقرَ الآمنَ الذي يؤوبون إليه هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا في كل شأن من الشؤون، في مناشط الحياة كلّها، وأن تحقق الخضوع التّامّ لله والذل المتناهيَ له سبحانه، ترسيخاً للعقيدة الصحيحة في واقع الحياة وتأصيلا لها في النفوس، وإلا فبدون ذلك تتخطّفها الأهواء تخطّف الجوارح، وتتقاذفها الأوهام تقاذف الرّياح.

ألا فلتصبغ الأمة حياتها كلّها وأنشطتها جميعَها بقاعدة العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص، فلا تخطو خطوةً ولا تتحرك حركة إلا وهي تنظر من منظار القرآن الكريم، ومن مرآة السنة ورضا الربّ جل وعلا، فالله جل وعلا يقول: ﴿الَّذِينَ ءامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

عباد الله، من دروس الحجّ أن تعلم الأمة وتتذكّر وأن تستشعر وتستيقن أنه لا سعادة لها ولا نجاح في هذه الحياة الدنيا ولا في الآخرة ولا توفيقَ ولا سدادَ إلا باتباع النبي ﷺ، والسير على نهجه والمسيرة الجادة على هديه في الاعتقاد والأعمال، في الحكم والتّحاكم، في الأخلاق والسلوك، وفي هذا الصدد يقول سيدنا

ونبينا محمد ﷺ عند كل منسك من مناسك الحج: «خذوا عني مناسككم». [أخرجه مسلم ١٢٩٧].

وانظر - أيها العبد المسلم - كيفَ حقق الصحابة هذا المقصدَ حينما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (حجّوا كما حجَّ النبي ﷺ، ولا تقولوا: هذا سنّة وهذا فرض) انتهى.

فأعظمُ أهداف الحج تذكر هدي المصطفى ﷺ ولزوم طريقه في هذه الحياة دونَ إفراط ولا تفريط ولا غلوٍّ أو جفاء، «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». [أخرجه مسلم ١٧١٨].

معاشر الأحبة، من الدروس العظيمة في الحجِ أهميةُ الاعتدال والتوسّط في الأمور كلها، ومجانبة الغلوّ والجفاء أو الإفراط والتفريط، روى أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة: «الْقُطْ لي حصًى» قال: فلقطتُ له حصىً من حصى الخذف، فجعل ينفضهنّ في كفّه ويقول: «بأمثال هؤلاء فارموا»، ثم قال: «يا أيها الناس، إياكم والغلوّ في الدين، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين». [صحيح سنن أبي داود ٢٤٥٥].

فالاعتدال في الأمور كلّها والتوسطُ فيها والبعد عن الغلو والجفاء هو المنهج القويم والصراطُ المستقيم الذي ينبغي أن يسلكه جميع المؤمنين، وذلك ليس بالأهواء، وإنما يكون بالأخذ بحدود القرآن والسنة وما فيهما من الهدي والبيان.

ألا فلتكن مثلَ هذه المناسبة العظيمة التي يجتمع فيها المسلمون على أداء عبادة عظيمة من معالم الدين، لتكن درساً يراجع فيه المسلمون أنفسَهم، ويتبصّرون فيه في أحوالهم، ليقيموها على المنهج الحق والصراط المستقيم، من منبعه الصافي ومورده العذب الزلال، كتاب الله جل وعلا وسنة سيّد الأنبياء سيدنا ونبينا ورسولنا محمد ﷺ.

عباد الله، الحجُ مؤتمر جامعٌ للمسلمين قاطبة، وهو مؤتمرُهم وملتقاهم الأكبر، مؤتمر يجدون فيه أصلَهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ إمام الحنيفيّة أبينا إبراهيم عليه السلام، يجدون محورَهم الذي يشدّهم إليه جميعاً، هذه القبلة التي يتوجّهون إليها جميعاً، ويلتقون عليها جميعاً، ويجدُون أيضاً رايتَهم التي يفيئون إليها، رايةَ العقيدة الواحدة التي تتوارى في ظلّها فوارقُ الأجناس والألوان والأوطان، ويجدُون قوتَهم والتي قد ينسونها حيناً، قوةَ التجمع والتوحّد والتي تضمّ الملايين التي لا يقف أمامها أحد لو فاءت إلى رايتِها الواحدة التي لا تتعدّد.

فالواجبُ على المسلمين اليوم وهم تتقاذفهم أمواجُ الفتن، وتتحدّاهم قوى الطغيان والعدوان، الواجبُ عليهم أن يتخذوا من مثل هذا الموسم مؤتمراً للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادُل المنافع والمعارف والتجارب. فلا يجد العالَم كلُّه مهما حاولت جهوده وتنسّقت، ومهما بلغت خططه وتنوّعت أن يجد موسماً كالحج منظّماً لعالم إسلامي واحد كامل متكامل مرّة في كل عام، في ظل الله، بالقرب من بيت الله، وفي ظلال الطاعات القريبة والبعيدة، والذكريات الغائبة والحاضرة، في أنسب مكان وأنسب جوّ وأنسب زمان.

فلا بدَّ أن تدرك الأمة على مُخْتَلِف مسؤولياتها أنهم على مُخْتَلِف مشاربهم وتنوع أشكالهم لا رابطة تربطهم إلا رابطةُ التوحيد، ولا نسبَ ثابت إلا نسبُ الدين، فيجب أن تكونَ صبغتَه هي الصبغة السائدة التي يجبُ معها النبذ الصارخ لحميّة الجاهلية وفخارها، ولهذا يقول الله جل وعلا في سياق آيات الحج: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩].

فحريّ بالأمة أن تستثمرَ مثلَ هذا الموسم العظيم فرصةً للتوجيهات العامة النافعة والنظر في قضاياها المهمة.

إخوة الإسلام: الحجُّ مؤتمر ذو مقاصدَ سياسية للبشرية كلها، مؤتمر يربّي البشرية على أسس السلام والأمن والحياة الطيبة، ويدعوهم لتحريم الحرمات والممتلكات والنفوس والمقدّرات. فربّنا جل وعلا يقول: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [الحج:٣٠].

مؤتمرُ الحج مؤتمر يغرس في النفوس حياة تراعى فيها حرمات الله، لتقوم في الأرض حياةٌ يأمن فيها البشر من البغي والاعتداء، حياة يجدون فيها مثابةَ أمن ودوحةَ سلام ومنطقة اطمئنان، فهذا سيّد البشرية وإمام الحنيفية سيدُنا ونبينا محمد ﷺ يعلنها جليةً ويطلقها صريحة في خطبة الوداع فيقول: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا».
[البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩].

فيا أيها المسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي وصية الله اللازمة للأولين والآخرين.

عباد الله، تعيشُ الأمةُ الإسلامية أياماً عظيمٌ فضلها كبير مقدارُها، إنها العشر الأول من ذي الحجة، أقسم الله بها تنويها بفضلها وإشارة إلى عظيم أجرها فيقول الله جل وعلا: ﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر:١، ٢]، ونبينا ﷺ يقول: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام» يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟! قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» أخرجه البخاري.

والعملُ الصالح - عباد الله - يشمل كلّ خير ومعروف وبر وإحسان من الأقوال والأفعال والسلوك، ومن أعظم ذلك تفقد أحوال المسلمين في كلّ مكان، والاهتمام بشؤونهم، والتخفيف من كرباتهم، وسدّ حاجاتهم، وصرفُ صالح الدعاء لهم بإصلاح الأحوال وكشف المضار والنصر على الأعداء.

ويشرع للحاج وغيره الإكثارُ من ذكر الله جل وعلا في هذه العشر، ففي المسند أنه عليه الصلاة والسلام سئل: أيُّ الحاجّ أعظم عند الله؟ قال: «أكثرُهم لله ذكراً».
[ضعيف الترغيب ٨١٠، ٩٠٦].

والله جل وعلا يقول: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [الحج:٢٧، ٢٨]، والأيام المعلومات عند جماهير أهل العلم هي أيام عشر ذي الحجة، وقد أمر الله جل وعلا بذكره كثيراً في أيام الحج كما دلّت عليه آيات سورة البقرة وسورة الحج.

والأمرُ بالذكر يشمل غيرَ الحاج كما قال ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحبّ إلى الله [العمل] فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهنّ من التسبيح والتهليل والتكبير والتحميد» رواه أحمد بسند حسن. [ضعيف الترغيب ٧٣٣].

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهما كانا يخرجان إلى السوق، فيكبران ويكبّر الناس بتكبيرهما
[فتح الباري ٨/٩]،

وكان فقهاءُ التابعين يقولون في أيام العشر: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد. فيستحبُّ للرجال رفعُ الصوت في هذا الذكر في الأسواق والدور والطرقات والمساجد.

ثم اعلموا - عباد الله - أنّ من أراد أن يضحّيَ فيمسك عن شعره وأظفاره وبشرته إذا دخلت العشر حتى يضحّي، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلالَ ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره حتى يضحّي»، وفي رواية: «فلا يمسّ من شعره وبشرته شيئاً». [مسلم ١٩٧٧) وهذا النهيُ خاصٌّ بالمضحّي، أما من يُضحّى عنه من أهل البيت فلا يدخل في هذا النهي وحتى لو [شاركوا] ربَّ البيت في أضحيته.

فاتقوا الله سبحانه، وعظّموا شعائره، تفلحوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة.

ثم اعلموا أن الله جلّ وعلا أمرنا بأمر عظيم ألا وهو الصلاة والسلام على النبي الكريم.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين.

الأضحية أحكام وآداب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

تعريف الأضحية: الأضحية: ما يذبح من بهيمة الأنعام أيام عيد الأضحى بسبب العيد تقرباً إلى الله عز وجل.

سبب تسميتها: وسميت بذلك؛ لأنها تذبح ضحى، بعد صلاة العيد.

مشروعيتها: هي من شعائر الإسلام المشروعة بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين.

إعداد/ **أيمن دياب**

أولاً: الكتاب: قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. والنسك الذبح، قاله سعيد بن جبير، وقيل جميع العبادات ومنها الذبح، وهو أشمل. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]. قلت: وهذه الآية تدل على أن الذبح تقرباً إلي الله تعالى مشروع في كل أمة، وهو برهان بيِّن على أنه عبادة ومصلحة في كل زمان ومكان وأمة.

ثانياً: السنة: فقد ثبتت مشروعية الأضحية فيها بقول النبي ﷺ، وفعله، وإقراره فاجتمعت فيها أنواع السنة الثلاثة: القول، والفعل، والتقرير.

أ- السنة القولية: ما في «الصحيحين» من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ».

ب- السنة الفعلية: ما في «الصحيحين» من حديث أَنَس رضي الله عنه قَالَ: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا». وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ يُضَحِّي».

ج- السنة التقريرية: ما في «الصحيحين» من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ضَحَايَا فَصَارَتْ لِعُقْبَةَ جَذَعَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَارَتْ لِي جَذَعَةٌ، قَالَ: «ضَحِّ بِهَا».

ثالثاً: الإجماع: ضحى ﷺ وضحى أصحابه رضي الله عنهم، وأخبر أن الأضحية سنة المسلمين يعني طريقتهم، ولهذا أجمع المسلمون على مشروعيتها، كما نقله غير واحد من أهل العلم.

قال ابن قدامة: «أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْأُضْحِيَّةِ». وقال ابن حجر: «قَالَ الإمام ابْنُ حَزْمٍ: «وَلَا خِلَافَ فِي كَوْنِهَا مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ».

حكمها: مع إجماعهم على مشروعية الأضحية اختلفوا هل هي سنة مؤكدة، أو واجبة لا يجوز تركها ؟ على قولين:

الأول: أنها واجبة: قَالَه الأئمة رَبِيعَةُ، وَمَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَاللَّيْثُ، وَأَبُو حَنِيفَةَ- رحمهم الله- وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد- رحمه الله -، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- وقال: هو أحد القولين في مذهب الإمام مالك- رحمه الله -، أو ظاهر مذهب مالك.ثم قال- رحمه الله-: «وَأَمَّا الْأُضْحِيَّةُ فَالْأَظْهَرُ وُجُوبُهَا أَيْضًا فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ النُّسُكُ الْعَامُّ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالنُّسُكُ مَقْرُونٌ بِالصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فَأَمَرَ بِالنَّحْرِ كَمَا أَمَرَ بِالصَّلَاةِ. وَهِيَ مِنْ مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ الَّذِي أُمِرْنَا بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِ. وفي بقية كلامه- رحمه الله-: على الأضحية قال: «وَوُجُوبُهَا حِينَئِذٍ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهَا فَاضِلًا عَنْ حَوَائِجِهِ الْأَصْلِيَّةِ. كَصَدَقَةِ الْفِطْرِ».

الثاني: أنها سنة مؤكدة وهو الراجح وعليه الفتوى: رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبِلَالٍ وَأَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنهم، وَبِهِ قَالَ سُوَيْد بْنُ غَفَلَةَ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعَلْقَمَةُ وَالْأَسْوَدُ وَعَطَاءٌ وَالشَّافِعِيُّ وَإِسْحَاقُ وَأَبُو ثَوْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ- رحمهم الله- ومالك، وأحمد في المشهور عنهما وهو ما ذهب إليه الجُمْهُور.

قلت: وقد بوب الإمام البخاري- رحمه الله- في «صحيحه» باب (سُنَّةِ الْأُضْحِيَّةِ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ هِيَ سُنَّةٌ وَمَعْرُوفٌ)،قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: «وَكَأَنَّهُ تَرْجَمَ بِالسُّنَّةِ إِشَارَةً إِلَى مُخَالَفَةِ مَنْ قَالَ بِوُجُوبِهَا»، قَالَ: الإمام ابْنُ حَزْمٍ- رحمه الله-: «لا يَصِحُّ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ، وَصَحَّ أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ عَنْ الْجُمْهُورِ، وَلَا خِلَافَ فِي كَوْنِهَا مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَهِيَ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْجُمْهُورِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، وَفِي وَجْهٍ لِلشَّافِعِيَّةِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ»، وَقَالَ: الإمام أَحْمَد- رحمه الله -: «يُكْرَه تَرْكُهَا مَعَ الْقُدْرَةِ»، وَعَنْ مُحَمَّد بْن

الحَسَن- رحمه الله-: «هِيَ سُنَّة غَيْر مُرَخَّص فِي تَرْكِهَا».

قَالَ: الإمـام الطَّحَاوِيُّ- رحـمـه الله-: «وَبِهِ نَأْخُذ، وَلَيْسَ فِي الْآثَار مَا يَدُلّ عَلَى وُجُوبهَا» ا هـ.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-: قَالَ الإمام التِّرْمِذِيّ- رحمه الله -: «الْعَمَل عَلَى هَذَا عِنْد أَهْل الْعِلْم أَنَّ الْأُضْحِيَّة لَيْسَتْ بِوَاجِبَة».

قلت: وقد صرح كثير من أرباب هذا القول بأنه «يُكْرَه تَرْكهَا مَعَ الْقُدْرَة».

وقتها: الأضحية عبادة مؤقتة لا تجزئ قبل وقتها على كل حال، ولا تجزئ بعده إلا على سبيل القضاء إذا أخرها لعذر.

أ- أول وقتها: بعد صلاة العيد لمن يصلون كأهل البلدان، أو بعد قدرها (أي: صلاة العيد) من يوم العيد لمن لا يصلون (العيد) كالمسافرين وأهل البادية.

فمن ذبح قبل الصلاة فشاته شَاةُ لحْم وليست بأضحية وعليه ذبح بدلها على صفتها بعد الصلاة لما روى الإمام البخاري- رحمه الله-: في «صحيحه» ح (٥٥٤٥) من حديث الْبَرَاءِ بْن عَازِب رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَحَرَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنْ النُّسْكِ فِي شَيْءٍ»، ولما في «الصحيحين» من حديث جُنْدَبَ بْنَ سُفْيَانَ الْبَجَلِيّ قَالَ: «شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُعِدْ مَكَانَهَا أُخْرَى».

والأفضل أن يكون الذبح بعد الخطبة وبعد ذبح الإمام، وهذا إن فعل الإمام السنة في الذبح، وهو أن يخرج بأضحيته إلى مصلى العيد ويذبحها في مصلى العيد؛ لأن هذه هي السنة الثابتة عن النبي ﷺ ينحر ويذبح بالمصلى لما روى الإمام البخاري- رحمه الله- في «صحيحه» ح (٥٥٥٢): من حديث ابْنَ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْبَحُ وَيَنْحَرُ بِالْمُصَلَّى» إظهاراً للشعيرة وتعميماً للنفع.

ب- وينتهي وقتها: بغروب الشمس من آخر يوم من أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، فيكون الذبح في أربعة أيام، وثلاث ليال: هذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم.

جنس ما يضحي به: أن تكون من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ضأنها ومعزها لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]وبهيمة الأنعام هي الإبل، والبقر، والغنم هذا هو المعروف عند العرب، وقاله الحسن وقتادة وغير واحد.

وَأَفْضَلُ الْأَضَاحِيِّ: الْبَدَنَةُ، ثُمَّ الْبَقَرَةُ، ثُمَّ الضَّأْنُ، ثُمَّ الْمَعْزُ، ثُمَّ سُبْعُ الْبَدَنَةِ، ثُمَّ سُبْعُ الْبَقَرَةِ.

والأفضل من كل نوع أسمنه، وأكثره لحماً، وأكمله خلقاً، وأحسنه منظراً. لما في «الصحيحين» من حديث: أنس رضي الله عنه قال «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ». قال الإمام الْكِسَائِيّ- رحمه الله -: الْأَمْلَح هُوَ الَّذِي فِيهِ بَيَاض وَسَوَاد وَالْبَيَاض أَكْثَر.

عمن تجزئ

تجزئ الأضحية الواحدة من الغنم عن الرجل وأهل بيته ومن شاء من المسلمين ؛ لما روي الإمام مسلم- رحمه الله- في «صحيحه» ح (١٩٦٧) من حديث عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: أن النبي ﷺ: «أَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ ضَحَّى بِهِ». فإذا ضحى الرجل بالواحدة من الغنم الضأن أو المعز عنه وعن أهل بيته أجزأ عن كل من نواه من أهل بيته من حي وميت.

ويجزئ سبع البعير أو سبع البقرة عما تجزئ عنه الواحدة من الغنم، فلو ضحى الرجل بسبع بعير أو بقرة عنه وعن أهل بيته أجزأه ذلك؛ لما روي مسلم في «صحيحه» ح (١٣٨١) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «نَحَرْنَا مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ».

شروط ما يضحي به

شروطها أربعة:

الأول: أن تكون ملكاً للمضحي.

الثاني: أن تكون من الجنس الذي عينه الشارع من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ضأنها ومعزها.

الثالث: بلوغ السن المعتبر شرعاً بأن تكون ثنياً إن كان من الإبل أو البقر أو المعز، وجذعاً من الضأن، لما روي الإمام مسلم- رحمه الله- في «صحيحه» ح (١٩٦٣) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ يَعْسُرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنْ الضَّأْنِ».

قلت: وَثَنِيُّ الْغَنَم مِنْ الضَّأْنِ والْمَعْزِ إذَا تَمَّتْ لَهُ سَنَةٌ وَدَخَلَ فِي الثَّانِيَةِ، وَالْبَقَرَةُ إذَا صَارَ لَهَا سَنَتَان وَدَخَلَتْ فِي الثَّالِثَةِ، وَالإِبِلُ إذَا كَمَلَ لَهَا خَمْسُ سِنِينَ وَدَخَلَتْ فِي السَّادِسَةِ، وَالْجَذَعُ مِنْ الضَّأْنِ مَا لَهُ سِتَّةُ أَشْهُر، وَدَخَل فِي السَّابِع.

الرابع: أن تكون خالية من العيوب المانعة من الإجزاء وهي أربعة: لما في حديث الْبَرَاءُ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ (وفي رواية: لا تُجْزِئُ): الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي (وفي رواية: الْكَسِيرُ الَّتِي لَا تُنْقِي».

بيان العيوب المانعة من الإجزاء:

١- الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا: هي الَّتِي قَدْ انْخَسَفَتْ عَيْنُهَا، أو برزت، والعمياء أولى بعدم الإجزاء.

٢- الْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا: هِيَ الَّتِي لَا يُرْجَى بُرْؤُهَا: فَهِيَ الَّتِي بِهَا مَرَضٌ قَدْ يَئِسَ مِنْ زَوَالِهِ، وما أصابها سبب الموت: كالمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع أولى بعدم الإجزاء.

٣- الْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا: هِيَ الَّتِي بِهَا عَرَجٌ

فَاحِشٌ، وَذَلِكَ يَمْنَعُهَا مِنَ اللَّحَاقِ بِالْغَنَمِ فَتَسْبِقُهَا إِلَى الْكَلَإِ فَيَرْعَيْنَهُ وَلاَ تُدْرِكُهُنَّ، فَيَنْقُصُ لَحْمُهَا، والزمني وهي العاجزة عن المشي لعاهة، والمقطوعة إحدى اليدين أو الرجلين أولى بعدم الإجزاء.

٤- وَالْعَجْفَاءُ أو الْكَسِيرُ الَّتِي لاَ تُنْقِي: هِيَ الَّتِي لاَ مُخَّ لَهَا فِي عِظَامِهَا ؛ لِهُزَالِهَا ؛ لأَنَّهَا لاَ لَحْمَ فِيهَا، إِنَّمَا هِيَ عِظَامٌ مُجْتَمِعَةٌ.

فيما يؤكل منها وما يفرق

يشرع للمضحي أن يأكل من أضحيته، ويهدي، ويتصدق لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾. [الحج: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [الحج: ٣٦] فالقانع السائل المتذلل، والمعتر المتعرض للعطية بدون سؤال، وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا». والإطعام يشمل الهدية للأغنياء والصدقة على الفقراء، وعَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قالت: أَنَّ النبي ﷺ قال: «كُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا». وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مقدار ما يأكل ويهدي ويتصدق، والأمر في ذلك واسع، وَالاِسْتِحْبَابُ أَنْ يَأْكُلَ ثُلُثَ أُضْحِيَتِهِ، وَيُهْدِيَ ثُلُثَهَا، وَيَتَصَدَّقَ بِثُلُثِهَا، وَلَوْ أَكَلَ أَكْثَرَ جَازَ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ- رحمه الله -: نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «يَأْكُلُ هُوَ الثُّلُثَ، وَيُطْعِمُ مَنْ أَرَادَ الثُّلُثَ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْمَسَاكِينِ بِالثُّلُثِ».

ولا يعطي الجازر منها شيئاً: وَلاَ يَجُوزُ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ الأُضْحِيَّةِ من لحم، أو شحم، أو دهن، أو جلد، أو غيره لأنها مال أخرجه لله- تعالى- فلا يجوز الرجوع فيه كالصدقة، لقوله ﷺ: «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له».

فَأَمَّا إِنْ دَفَعَ إِلَيْهِ لِفَقْرِهِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْهَدِيَّةِ، فَلَا بَأْسَ ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْأَخْذِ، فَهُوَ كَغَيْرِهِ، بَلْ هُوَ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ بَاشَرَهَا، وَتَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهَا.

فيما يجتنبه من أراد الأضحية

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، فَدَخَلَ الْعَشْرُ، فَلَا يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ بَشَرَتِهِ شَيْئًا، لما في «صحيح الإمام مسلم» رحمه الله- من حديث أُمِّ سَلَمَةَ- رضي الله عنها- قالت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ» وفي لفظ «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أُهِلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ». قلت: ففي هذا الحديث النهي عن أخذ شيء من الشعر أو الظفر أو البشرة لمن أراد أن يضحي من دخول شهر ذي الحجة، إما برؤية هلاله، أو إكمال ذي القعدة ثلاثين يوماً حتى يضحي، وهذا حكم خاص بمن يضحي، أما من يضحى عنه فلا يتعلق به؛ لأن النبي ﷺ قال: «وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ» ولم يقل أو يضحى عنه؛ ولأن النبي ﷺ كان يضحي عن أهل بيته ولم ينقل عنه أنه أمرهم بالإمساك عن ذلك.

وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نيته ولا إثم عليه فيما أخذه قبل النية.

الذكاة وشروطها

تعريف الذكاة

فعل ما يحل به الحيوان الذي لا يحل إلا بها من نحر، أو ذبح، أو جرح.

فالنحر للإبل: والذبح لغيرها. والجرح لما لا يقدر عليه إلا به.

ويشترط للذكاة شروط تسعة:

الشرط الأول: أن يكون المذكي عاقلاً مميزاً، فلا يحل ما ذكاه مجنون، أو سكران، أو صغير لم يميز، أو كبير ذهب تمييزه ونحوهم.

الشرط الثاني: أن يكون المذكي مسلماً، أو كتابياً وهو من ينتسب إلى دين اليهود أو النصارى.

فأما المسلم: فيحل ما ذكاه سواء كان ذكراً أم أنثى، عدلاً أم فاسقاً، طاهراً أم محدثاً.

وأما الكتابي: فيحل ما ذكاه بالكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وأما السنة: فَعَنْ أَنَس رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا»، و عَنْ أَنَس رضي الله عنه: «أَنَّ يَهُودِيًا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ فَأَجَابَهُ».

وأما الإجماع: فقالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: أَجْمَعَ عَلَى هَذَا كُلُّ مَنْ نَحْفَظُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ.

وأما سائر الكفار غير أهل الكتاب فلا يحل ما ذكوه لمفهوم قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَبَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾، ولا يلزم السؤال عما ذبحه المسلم أو الكتابي كيف ذبحه، وهل سمى عليه أو لا، بل ولا ينبغي لأن ذلك من التنطع في الدين، والنبي ﷺ أكل مما ذبحه اليهود ولم يسألهم، لما في صحيح الإمام البخاري- رحمه الله-: من حديث عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- «أَنَّ قَوْمًا قَالُوا: لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَا بِاللَّحْمِ لا نَدْرِي أَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لاَ ؟ فَقَالَ: «سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُوهُ» قَالَتْ وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْكُفْرِ»، فأمرهم النبي ﷺ بأكله دون أن يسألوا مع أن الآتين به قد تخفى عليهم أحكام الإسلام، لكونهم حديثي عهد بكفر.

الشرط الثالث: أن يقصد التذكية لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣] والتذكية فعل خاص يحتاج إلى نية.

الشرط الرابع: أن لا يكون الذبح لغير الله، فإن كان لغير الله لم تحل الذبيحة، كالذي يذبح تعظيماً لصنم، أو صاحب قبر، أو ملك، أو والد ونحوهم لقوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]. ولقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

الشرط الخامس: أن لا يذكر عليها اسم غير الله مثل أن يقول باسم النبي، أو جبريل، أو فلان، فإن سمى عليها اسم غير الله لم تحل ولو ذكر اسم الله معه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]. وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اللَّهُ- تَعَالَى- «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

الشرط السادس: أن يذكر اسم الله تعالى عليها فيقول عند تذكيتها باسم الله لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]. وقول النبي ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوا». فإن لم يذكر اسم الله تعالى عليها عامداً لم تحل لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فَلَا بَأْسَ». وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَإِسْحَاقُ.

قلت: وإذا كان المذكي أخرس لا يستطيع النطق بالتسمية كفته الإشارة الدالة لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

الشرط السابع: أن تكون الذكاة بمحدد ينهر الدم من حديد أو أحجار أو زجاج أو غيرها لقوله ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ لَيْسَ السِّنَّ وَالظُّفُرَ وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَأَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ». فإن أزهق روحها بغير محدد لم تحل مثل أن يخنقها أو يصعقها بالكهرباء ونحوه حتى تموت.

الشرط الثامن: إنهار الدم أي إجراؤه بالتذكية، لقول النبي ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوهُ». ثم إن كان الحيوان غير مقدور عليه كالشارد والواقع في بئر أو مغارة ونحوه كفى إنهار الدم في أي موضع كان في بدنه، والأولى أن يتحرى ما كان أسرع إزهاقاً لروحه؛ لأنه أرض للحيوان.

وإن كان الحيوان مقدوراً عليه فلابد أن يكون إنهار الدم من الرقبة من أسفلها إلى اللحيين، بحيث يقطع الودجين وهما عرقان غليظان محيطان بالحلقوم.

الشرط التاسع: أن يكون المذكى مأذوناً في ذكاته شرعاً، فأما غير المأذون فيه فنوعان:

أحدهما: ما حرم لحق الله تعالى كصيد الحرم والإحرام فلا يحل وإن ذكي لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾. [المائدة: ١]وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائد: ٩٦].

النوع الثاني: ما حرم لحق المخلوق كالمغصوب والمسروق يذبحه الغاصب أو السارق..

◆ آداب الذكاة ◆

للذكاة آداب ينبغي مراعاتها ولا تشترط في حل الذكية بل تحل بدونها فمنها:

١- استقبال القبلة بالذبيحة حين تذكيتها: قال شيخ الإسلام: (وَيُشْرَعُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ بِهَا الْقِبْلَةَ).

٢- الإحسان في تذكيتها بحيث تكون بآلة حادة يمرها على محل الذكاة بقوة وسرعة.وقيل: هذا من الآداب الواجبة لظاهر قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». وهذا القول هو الصحيح اختاره شيخ الإسلام.

٣- أن تكون الذكاة في الإبل نحراً، وفي غيرها ذبحاً فينحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى؛ لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦].قال ابن عباس رضي الله عنه: «قيام على ثلاث قوائم، معقولة يدها اليسرى».وهو قول مجاهد والضحاك. فإن صعب عليه ذلك نحرها باركة. ويذبح غيرها على جنبها الأيسر، فإن كان الذابح أعسر يعمل بيده اليسرى ذبحها على الجنب الأيمن إن كان أرفق للذبيحة وأمكن له. ويسن أن يضع رجله على عنقها ليتمكن منها. لما في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه قال: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا».

٤- قطع الحلقوم والمريء زيادة على قطع الودجين.

٥- أن يستر السكين عن البهيمة عند حدها فلا تراها إلا عند الذبح. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِّ الشِّفَارِ وَأَنْ تُوَارَى عَنْ الْبَهَائِمِ وَقَالَ إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجْهِزْ».

٦- أن يكبر الله تعالى بعد التسمية. فيقول بسم الله والله أكبر، ولا يسن غير التسمية والتكبير لعدم وروده، ولا الصلاة على النبي ﷺ، لا يذكر عند الذبح إلا الله وحده سبحانه وتعالى لما في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه قال: «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ».

٧- أن يعين عند ذبح الأضحية أو العقيقة من هي له بعد التسمية والتكبير، ويسأل الله قبولها فيقول: بسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك عني إن كانت له، أو عن فلان إن كانت لغيره. اللهم تقبل مني إن كانت له، أو من فلان إن كانت لغيره.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَضْحَى بِالْمُصَلَّى فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ نَزَلَ مِنْ مِنْبَرِهِ وَأَتَى بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي». والحمد لله رب العالمين.

من فضائل الحج

إعداد/
عبده الأقرع

الحمد لله خص بيته بمزيد من التكريم، وافترض حجه على من استطاع إليه السبيل، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الموحى إليه في أشرف تنزيل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وبعد:

فهذه كلمة تشتمل على ذكر بعض فضائل الحج، فأقول وبالله التوفيق:

الحج عبادة من العبادات التي افترضها الله وجعلها إحدى الدعامات الخمس التي يرتكز عليها الدِّين الإسلامي والتي بينها الرسول ﷺ بقوله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت». [متفق عليه].

وقد حج رسول الله ﷺ بالناس في السنة العاشرة من الهجرة حجته التي رسم لأمته فيها كيفية أداء هذه الفريضة، وحث على تلقي ما يصدر منه من قول وفعل، فقال ﷺ: «لتاخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». (مسلم ٢/٩٤٣/١٢٩٧).

فسميت حجته ﷺ حجة الوداع، وقد رغب ﷺ أمته في الحج وبيّن فضله وما أعده الله لمن حج وأحسن حجه من الثواب الجزيل، فقال ﷺ: «من حجَّ فلم يرفث، ولم يَفْسُقْ، رجع من ذنوبه كيوم ولدتهُ أمُّه». [متفق عليه].

وقال ﷺ: «العمرةُ إلى العمرة، كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة». [متفق عليه].

وقد سُئل ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسولِهِ». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهادُ في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حجٌ مبرور». [متفق عليه].

وعن ابن شماسة قال: حَضَرْنا عَمرو ابنَ العاصي وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً، وقال: فلما جعل الله الإسلامَ في قلبي أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ابسُط يمينك لأبايعكَ. فبسط يده، فقبضتُ يدي. فقال: «ما لكَ يا عمرو؟» قال: أردتُ أن أشترط. قال: «تشترطُ ماذا؟» قال: أن يُغفر لي. قال: «أما علمتَ يا عَمرُو أن الإسلام يَهدمُ ما كان قبله، والهجرة تَهدمُ ما كان قبلها، وأنَّ الحج يهدمُ ما كان قبله؟».

[رواه مسلم، وهو في صحيح الترغيب رقم ١٠٩٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

قلت: يا رسول الله، نرى الجهادَ أفضلَ الأعمال، أفلا نجاهد؟ فقال: «لكنَّ أفضل الجهادِ حجٌ مبرور». [البخاري ٣/٣٠٢].

وقال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنَّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خَبث الحديد والذهب والفضةِ، وليس للحجَّة المبرورة ثوابٌ إلا الجنة».

[صحيح الجامع ٢٨٩٩].

وقال ﷺ: «الحاجُّ والعُمَّارُ وفدُ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم».

[صحيح الجامع ٣١٧٣].

وقال ﷺ: «استمتعوا بهذا البيت، فقد هُدم مرتين، ويُرْفعُ في الثالثة».

[صحيح الجامع ٣١٧٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسًا مع النبيِّ ﷺ في مسجد مِنى، فأتاه رجلٌ من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلما، ثُمَّ قالا: يا رسول الله، جئنا نسألك فقال: «إنْ شئتُما أخبرتُكما بما جئتما تسألاني عنه فَعلْتُ، وإن شئتما أن أمسِكَ وتسألاني فعلتُ». فقالا: أخبِرْنا يا رسول الله، فقال الثقفي للأنصاري: سل. فقال: أخبرني يا رسول الله. فقال: «جئتني تسألني عن مخرجك من بيتكَ تَؤُمُّ البيتَ الحرامَ ومالكَ فيه، وعن ركعتيك بعد الطوافِ ومالك فيهما، وعن طوافِك بين الصفا والمروة ومالك فيه، وعن وقوفك عَشيَّة عرفةَ ومالك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك ومالك فيه، مع الإفاضة، فقال: والذي بعثك بالحق، لَعَنْ هذا جئتُ أسالك. قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تَؤُمُّ البيتَ الحرامَ، لا تضعُ ناقتُك خُفًا، ولا ترفعه، إلا كتب «الله» لك به حسنةً، ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف، فكعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافُكَ بالصفا والمروة، فكعتق سبعين رقبة، وأما وقوفُك عشية عرفة، فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤني شُعثًا من كل فَجَ عميق يَرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبُكم كعدد الرمل، أو كَقَطْرِ المطرِ، أو كزبد البحر، لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم، ولمن شفعتم له، وأما رميكَ الجمارَ، فلكَ بكلِّ حصاةٍ رَمَيْتَها تكفيرُ كبيرة من الموبقات، وأما نحرُك، فمدخورٌ لك عند ربك، وأما حِلاقُكَ رَأسَك، فلك بكل شعرةٍ حلقتها حسنةٌ، وتمحى عنك خطيئةٌ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوفُ ولا ذنبَ لك يأتي ملكٌ حتى يضعَ يديه بين كتفيك فيقول: اعملْ فيما تستقبلُ، فقد غُفِرَ لك ما مضى».

[صحيح الترغيب ١١١٢].

وإذا مات الحاج كُتب له ثواب الحاج إلى يوم القيامة. قال ﷺ: «من خرجَ حاجًا فمات، كُتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات، كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة».

[صحيح الترغيب ١١١٤].

وقال ﷺ: «في المُحرِمِ الذي وقصته ناقته فمات: اغسلوه بماء وسدر، وكفِّنوه بثوبيه، ولا تُخمرُوا رأسه، ولا تُحنطوه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا». [متفق عليه].

فهل بعد هذا الجزاء جزاءٌ؟

أسأل الله إنه خير مسئول وأكرم مأمول، أن يكتب لي ولكل متشوق حج بيته الحرام، وألا يحرمنا من دعوات الصالحين، وترحمات المؤمنين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

من هدي رسول الله ﷺ

من الخير التعجيل بالحج

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من أراد الحج فليعجل. وفي رواية قال ﷺ: تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له.

[مسند أحمد].

من فضائل الحج

عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب و الخطايا و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [مسند أحمد].

من أسباب قبول الحج

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سال رجل رسول الله ﷺ فقال ما الحاج؟ فقال الشعث التفل.(أي أشعث أغبر غير متزين ولا مائل إلى أسباب التفاخر) فقام أخر فقال يا رسول الله أي الحج أفضل؟ قال العج (أي رفع الصوت بالتلبية) والثج (أي إراقة دم الهدي). فقام أخر فقال يا رسول الله ما السبيل؟ قال زاد وراحلة. [شرح السنة].

الحج عرفة

عن عبد الرحمن بن يعمر. قال: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، الحج عرفات. أيام منى ثلاث فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج». [الترمذي].

أحذر أخي الحاج اعتقاد بعض الناس أن حجه يكون ناقصا إذا لم يزر قبر النبي ﷺ ويقف عنده ويدعو ويستشفع به والصحيح فعل الصحابة، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا دخل المسجد النبوي قال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف.

إعداد/ علاء خضر

ما يقول إذا رجع من الحج

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبير على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ايبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده. [متفق عليه].

فضل صيام يوم عرفة !

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية و مستقبلة. [صحيح مسلم].

الحجر الأسود كان أبيض

عن بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم. [الترمذي].

الصحابة والعيد

عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: « تقبل الله منا ومنك ». [فتح الباري].

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله علية وسلم قال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة و أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. [الترمذي].

فضل العشر من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (ما العمل في أيام أفضل منها في هذه). قالوا: ولا الجهاد ؟ قال: (ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء). [البخاري].

المضحي لا يحلق شعراً

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم هلال ذي الحجة و أراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره و أظفاره. [صحيح مسلم].

وقت التكبير

قال ابن حجر في الفتح: اخرج البيهقي عن أصحاب ابن مسعود أنه يبدأ تكبير العيد من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى. وأما صيغة التكبير فأصح ما ورد فيها ما أخرجه عبد الرزاق عن سلمان قال: « كبروا الله، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيراً » وقيل يكبر ثنتين بعدهما « لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد » جاء ذلك عن عمر، وعن ابن مسعود و قال أحمد و إسحاق: وقد أحدث في هذا الزمان زيادة في ذلك لا أصل لها. [فتح الباري].

اتبعوا ولا تبتدعوا

التوسل بين

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وبعد:

فقد بيّنا في العدد السابق أن لفظ التوسل شرعًا يطلق على التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الإيمان به وتوحيده وتصديق رسله، وعلى التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وعلى التوسل إلى الله بما عمله المتوسل من الأعمال الصالحة وعلى التوسل إلى الله تعالى بدعاء المتوسل به للمتوسل وشفاعته. وفي هذا المقال نلقي الضوء بإذن الله علي أنواع التوسل غير المشروع حتى تتضح الرؤية للقارئ الكريم وتستبين له السبيل، سائلين المولي عز وجل أن يهدي الأمة إلى التي هي أقوم، إلى منهج أهل السنة الأسلم والأعلم والأحكم.

تعريف التوسل غير المشروع

هو أن يتوسل إلى الله عز وجل بما ليس بوسيلة أى بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة، لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول والمنقول.

أو بمعني آخر هو: أن يقصد الإنسان التقرب إلى الله بالشرك أو البدع أو المعاصي فهذا لا يوصله لمرضاة ربه، بل لسخطه وعقابه كما أخبر عز وجل عن قصد المشركين للقرب منه « زلفى» بعبادة غيره، فمن ذبح أو نذر أو حلف أو دعا غير الله يقصد بذلك التقرب إلى الله فقد توسل» وسيلة شركية» ومن ابتدع في الدين بدعة يريد بها التقرب إلى الله فقد توسل وسيلة محرمة، لقول النبي ﷺ « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وأما من يتقرب إلى الله بالمعاصي، كمن يسرق ليتصدق فهو يجمع بين البدعة والمعصية.

أنواع التوسل غير المشروع

النوع الأول: التوسل الشركي: كالاستغاثة - بغير الله - ودعاء غيره.

والاستغاثة هي طلب الغوث ولا تكون إلا من مكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة، لأنه من المكروب وغيره. قال ابن القيم رحمه الله: من الشرك طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له عند الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده.

مثال ذلك: أن يطلب الإنسان المدد من الأموات أو الغائبين سواء كانوا من الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين أو الجن، كأن يقول: يا سيدي فلان أغثني واكشف كربي واشف مريضي وهو يعتقد في ذلك أن هذا توسل إلى الله بدعاء غيره، فهذا هو الشرك الأكبر من جنس توسل المشركين الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ وكما قال عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾

وقال تعالى منددأ بمن يدعون ويعبدون غير الله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ .

فسماه الله عبادة لهم وإن كانوا هم يعتقدونه (زلفى) إلى الله فهو توسل شركي.

وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ يخبر الله تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة

أهل السنة والصوفية

إعداد / معاوية محمد هيكل

والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل علي عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة علي استجابته فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية، فنفى عنهم الملك بقوله (ما يملكون من قطمير). قال ابن عباس وغيره « القطمير» اللفافة التي تكون علي نواة التمر ونفي عنهم سماعهم الدعاء بقوله
(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم ما بين ميت وغائب عنهم مشتغل بما خلق له مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال (ولو سمعوا ما استجابوا لكم) لأن ذلك ليس بملكهم ثم بين أن دعاء غير الله شرك، لأن الدعاء عبادة، فقال عز وجل (ويوم القيامة يكفرون بشرككم). فتح المجيد.

وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

قال ابن القيم: فتأمل كيف أخذت هذه الآية علي المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، و إلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلا يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عباده أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له أو وجيهاً ذا حرمة، ولا يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجهة وبطلت، انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أنها تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض.؟ فقد يقول المشرك، هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له، فيقول قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً فقال: (وما له منهم من ظهير) فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد من خلقه إلا بإذنه.

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الأموات أو الغائبين:

كان يقول للميت أو الغائب اشفع لي عند الله أو ادعو الله لي، وهذا توسل مبتدع لأن الميت إذا مات انقطع عمله فلا يمكن لأحد أن يدعو بعد موته، وقد أجمع السلف علي عدم جواز هذا النوع من التوسل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد» يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله، يا رسول الله، ادع الله لي، سل الله لي، سل الله أن يغفر لي ولا يقول « أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو اشكو إليك فلاناً الذي ظلمني، ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك، ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصاري في كنائسهم وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام. وبالنقل المتواتر بإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع شيئاً من ذلك ولا فعل هذا أحد من أصحابه ﷺ والتابعين لهم بإحسان ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا ذكر أحد من الأئمة في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك الزمان أو قوة العدو، أو كثرة الذنوب، ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم بل هذا وما

يشبهه من البدع المحدثة.

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بذوات الصالحين:

كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان- ولا يعني إلا ذاته وشخصه أن تقضي حاجتي.

إن التوسل بذات المتوسل به وشخصه إلى الله تعالى، عمل غير شرعي، لأنه لم يأمر به الله، ولا بلغه رسول الله ﷺ، على أن التوسل بذات الشخص، إنما هو عمل قد ذمه الله تعالى لما وصف توسل المشركين، فقال حاكياً عنهم ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر:٣).

فالتوسل بالعبد الصالح لا يجوز أن يكون وسيلة، فهذا التزلف بذوات الأشخاص رده الله سبحانه وتعالى ولم يقبله، وإنه تعالى قد عاب عليهم في هذه الآية أمرين اثنين: عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه، وعاب عليهم محاولتهم القربى والزلفى إليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين، فكلا الأمرين في الآية، عيب وذنب، وكلاهما باطل وكذب وضلال، وقال تعالى ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧] أي: إن الذين يقربون عند الله درجات ومنازل عظيمة والذين تضاعف حسناتهم إنما تضاعف بأعمالهم لا بالجاهات ولا الوساطات.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجلين تناظرا، فقال أحدهما: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل بغير ذلك: فأجاب رحمه الله:

الحمد لله رب العالمين، إن أراد بذلك أنه لابد من واسطة يبلغنا أمر الله،فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر به وما نهى عنه، وما أعده لأوليائه من كرامته، وما توعد به أعداءه من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، التي تعجز العقول عن معرفتها، وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى، ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة، وأما المخالفون للرسل، فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون.

ثم قال: وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع، ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد، ونصرهم وهداهم، ويسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه، فهو من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفعاء يجتلبون بهم المنافع.

النوع الرابع: التوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه أو حرمته:

كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو حقه عليك، أو حرمته أن تقضي حاجتي، فهذا عمل لم يشرعه الله ولم يبلغه رسوله ولا أمر به ولا حض عليه ولم يصل إلينا عن أحد من أصحابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:: ليس لأحد أن يُدِلّ على الله بصلاح سلفه، فإنه ليس صلاحهم من عمله الذي يستحق به الجزاء، كأهل الغار الثلاثة، فإنهم لم يتوسلوا إلى الله بصلاح سلفهم، وإنما توسلوا إلى الله بأعمالهم. اهـ.

ولماذا لا تعملون صالحًا كما عملوا، وتتوسلون بأعمالكم الصالحة كما توسلوا، كما فعل السلف الصالح ممن سبقكم، أما سمعتم قول الشاعر:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يومًا على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني، ونفعل مثلما فعلوا

وقال شارح العقيدة الطحاوية- رحمه الله-: «ولا مناسبة بين ذلك- أي صلاح المتوسل به- وبين استجابة الدعاء، فكأن المتوسل يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي ! وأي مناسبة في هذا... وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم يُنْقَل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن الأئمة، رضي الله عنهم أجمعين، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل- أي التمائم- التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

أما الحديث الذي احتج به القوم: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». فهو حديث باطل لا أصل له، قال شيخ الإسلام: «هو حديث كذبٌ موضوع من الأحاديث المشينات التي ليس لها زمام ولا خطام».

النوع الخامس: الإقسام على الله جل وعلا بالمتوسل به:

كأن يقول المتوسل: اللهم أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي، فالأصل في القسم أو الحلف، أن

يكون بالله تعالى، لأنه عبادة، ومعلوم أن العبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله عز وجل، ولذا فإنه لا يجوز القسم أو الحلف بغيره سبحانه، وقد ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». وفي لفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححوه.

فإذا فهم هذا فيتعين أنه لا يجوز الحلف بمخلوق على مخلوق، فكيف يجوز الحلف بالمخلوق على الخالق؟!

وبذلك يظهر أن الإقسام على الله بمخلوقاته ليس شركًا فحسب، بل هو تقرب إلى الله تعالى بالشرك به !! وإن هؤلاء الذين يقسمون على الله بمخلوقاته يتقربون إلى ربهم بذلك.

قال شارح العقيدة الطحاوية: «وإن الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق ؟ وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك.

كما أن القول: بجاه فلان عندك أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا. وهذا أيضًا محذور فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، فيطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات رسول الله ﷺ قال عمر رضي الله عنه- لما خرجوا يستسقون-: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا. معناه: بدعائه الله لنا، وشفاعته عنده، وليس المراد أنا نقسم عليك (به) أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مرادًا، لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس». اهـ.

الصحابة رضي الله عنهم لم يقسموا على الله بالنبي ﷺ، ولم يسألوه به:

قال ابن تيمية رحمه الله: «التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته ﷺ أو السؤال به، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته، ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره، ولا نعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة».

دعوة قبورية معاصرة

وبعد هذا العرض لأنواع التوسل الممنوع يتبين لك أخي الكريم أنّ ما صرح به بعض الدعاة من قادة الجماعات المعاصرة في الأصل الخامس عشر من أصوله العشرين: «والدعاءُ إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة». ليس صحيحًا على إطلاقه، لما علمت أن في الواقع ما يشهد بأنه خلاف جوهري إذ فيه شرك صريح كما سبق بيانه، وكان من نتائج هذا القول أن ظن بعض الأتباع أن التوجه إلى الصالحين في قبورهم تبركًا والتماسًا للشفاعة أمرٌ مشروع لا حرج فيه، وأن جماعتهم لا تميل إلى التشدد في هذا الباب كغيرها من الجماعات كما فعل ذلك صاحب كتاب «شهيد المحراب» حيث قال: «قال البعض: إن رسول الله ﷺ يستغفر لهم إذا جاءوه حيًا فقط، ولم أتبين سبب التقييد في الآية عند الاستغفار بحياة الرسول ﷺ وليس في الآية ما يدل على هذا التقييد».

ثم قال: «ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله ﷺ يستغفر حيًا وميتًا لمن جاء قاصدًا رحابه الكريم».

وقال أيضًا: «فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد».

ثم يؤنب المنكرين على القبوريين بقوله: «فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم».

ثم زعم أن الأمر لا يخدش عقيدة التوحيد بقوله: «وأقول للمتشددين في الإنكار: هونًا فما في الأمر من شرك ولا وثنية ولا إلحاد».

وهكذا يهوّن هؤلاء من أمر العقيدة فيدعون الناس إلى شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين والتوسل بهم ودعائهم من دون الله مما كان له الأثر السيئ في تشويه معالم الدين وإفساد عقائد الناس، ونشر الخرافات والبدع في صفوف الأمة، فإلى الله المشتكى ممن يضللون الأمة ويصرفونها عن عقيدتها. ومنهج عزها وسعادتها

اللهم اهد عموم الأمة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنهج الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فقد أمر الله تعالى بإحسان كل من الزوجين للآخر، لكن قد تحدث خلافات وشقاق بين الزوجين، فالحياة البشرية يعتريها التغير والتبدل، وكرُّ الأيام والليالي يفعل في القلب- كما يفعل في الجسد- ما لم يكن في الحسبان، وسبحان مُقلب القلوب.

والله تعالى وضع الضوابط في حالات الإعسار، وقاية للزوجين وللمجتمع، وعلى العبد أن يكون طائعًا لربه في جميع أحواله إن يسرًا أو عسرًا.

وعلى كل من الزوجين التحلي بالصبر والحلم والاحتمال مع صاحبه، وأن يعلما أنه ليس هناك من كمال لأحد، بل لابد من النقائص في بعض الصفات، ينبغي فيها المسامحة بما يشفع لها من الصفات الحسنة، فإذا جنح أحدهما إلى النشوز، فإن الله تعالى بيَّن في كتابه الكريم ما يُتبع في هذه الحالة، سواء لعلاج نشوز المرأة أو نشوز الرجل، مع التنبيه أن هذه الخطوات- التي سنراها- تكون قبل استعلان النشوز واستفحاله، وإنما عند ظهور بوادره، لأنه إذا استعلن النشوز فقلما تجدي خطوات العلاج- وهذا ما يقع فيه الكثير من الأزواج- فلا يتخذون الإجراءات التي أمر الله بها إلا بعد أن يقع النشوز ويستعصي على العلاج.

أولا: نشوز المرأة

قال الله تعالى: ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]، والنشوز هو الارتفاع، والمرأة الناشز هي التي عصت زوجها وخالفت أمره وامتنعت عن تأدية حقه وتطاولت عليه.

وقد شرع الله للرجل أن يؤدب المرأة بما له عليها من حق القوامة، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فإذا لمس منها تغيرًا عن مألوفها في طاعته وشعر منها ببعض الصدود والتجهم دون سبب معروف كمرض أو نحوه أو أن يكون قد أحزنها بعض الأولاد أو الأقارب أو الجيران، فهنا يتبع ما أمر الله به.

الوعظ: وهذا أول خطوات العلاج، فيذكرها بالله تعالى، وبما أعدَّ للزوجات الصالحات الطائعات، وكذا بأحاديث رسول الله ﷺ، وأن باب المرأة إلى الجنة هو طاعة زوجها بعد طاعة ربها ويذكر لها قصص الصالحات المؤمنات.

ويذكرها أيضًا بعهدها الأول معه، وأن ينظر إلى الأسباب التي أدت إلى تغيرها، فربما يكون هو السبب وهو لا يشعر.

فإذا وعظها وذكَّرها - ولا مانع أن يستعين بكتب أهل العلم في هذا الشأن - ولم يُجد ذلك معها لأن هناك اتباعًا لهواها وللشيطان أو استعلاءً بجمال أو مال أو ذكاء، فوقتها ينتقل الرجل إلى الخطوة التالية.

الهجر في المضاجع: فالفراش أمضى أسلحة المرأة، وبه تستعلى على زوجها، فالرجل من أجل الإصلاح عليه

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

الحلقة العاشرة

إعداد / متولي البراجيلي

أن يملك زمام نفسه ويكبح شهواته، فإذا هجرها في الفراش أسقط من جعبتها أقوى سهامها التي تتعالى بها.

وليكن هجر الزوج بنية، هذه النية هي الإصلاح وليس الإذلال والإهانة، فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهرًا، وقعد في مَشْرُبة له، فنزل لتسع وعشرين، فقيل: يا رسول الله، إنك آليت شهرًا، قال: «إن الشهر تسع وعشرون».

وفي سنن أبي داود وغيره، وهو في صحيح الترغيب والترهيب: قال ﷺ: «... ولا تهجر إلاَّ في البيت».

فله أن يهجر بعيدًا عنها معتزلها كما فعل رسول الله ﷺ عندما اعتزل نساءه، أو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها.

وليحذر أن يكون الهجر أمام أعين الأطفال أو الأقارب أو الجيران، فإن ذلك ربما يؤدي إلى ازدياد عنادها وتكبرها، فإذا لم يُجدِ الهجر في المضاجع كما لم يُجدِ الوعظ، فماذا يفعل الرجل، وهو يرى أن سفينته تكاد أن تجنح عن مسارها، فلم يبق أمامه إلا الضرب، وكما يقال: فإن آخر الدواء الكي.

الضرب: قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «... ولكم عليهن ألاَّ يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح». (صحيح مسلم).

فقيَّد النبي ﷺ الضرب بأنه غير مبَرح، يعني ليس بشديد، فلا يكسر عظمًا، أو يسبب لها جراحًا، وقد سأل عطاء ابن عباس رضي الله عنهما: ما الضرب غير المبَرِّح؟ قال: بالسواك ونحوه.

(تفسير القرطبي).

فهو لا يصارع خصمًا له، ولا ينتقم، وكذا لا يستخدم قوته العضلية في إرغام المرأة على حياة هي لها كارهة وغير راضية عنها.

فالضرب للتأديب، وللتذكير، بأنه يستطيع أن يستخدم معها القوة، أو أنها هي التي ألجأته لذلك بنشوزها، وقد بذل لها وسعه موعظة وهجرًا، فلم يُجدِ ذلك معها شيئًا، فماذا يفعل ؟

إلا أننا نذكر الزوج بألا يغالي في الضرب، وأن يتذكر أحاديث النبي ﷺ في هذا الأمر، ولقد سُئل النبي ﷺ: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ فقال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

(صحيح سنن ابن ماجه)

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله». فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن (أي نشزن) النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهنَّ، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن. فقال رسول الله ﷺ: «ولقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم». (صحيح سنن ابن ماجه).

قال الشافعي: يحتمل أن يكون النهي على الاختيار، والإذن على الإباحة، ويحتمل أن يكون قبل نزول الآية بضربهن، ثم أذن بعد نزولها فيه.

(فتح الباري).

فمتى أطاعت الزوجة، فليس للزوج أن يعاود ضربها أو أن يسخر منها ويهزأ بها، فالله تعالى الذي أباح له تأديبها هو الذي أمره في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

نشوز الزوج

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا

بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

فكما بيَّن المنهج كيفية علاج نشوز المرأة، فإنه بين هنا أيضًا كيفية معالجة نشوز الرجل عند خوف المرأة من وقوع هذا النشوز بأن رأت بوادره، فالقلوب- كما قلنا- تتقلب، والمشاعر تتغير، فإن خافت المرأة من أن تصبح مجفوة أو أن يعرض عنها زوجها فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجها، أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو غير ذلك؛ كأن تترك له جزءًا أو كلاً من نفقتها الواجبة عليه، أو تترك له ليلتها إن كانت له زوجة أخرى يؤثرها عليها، وكانت هي قد فقدت حيويتها وجمالها، وذلك بكامل اختيارها ورضاها، فذلك خير لها من طلاقها.

فيقول الله تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ أي خير من الجفوة والإعراض والطلاق، ثم يحث الله تعالى الرجل على الإحسان إلى هذه المرأة الراغبة فيه وقد تنازلت عن بعض حقوقها لتبقى في عصمته.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

وفي أسباب النزول أن عائشة رضي الله عنها قالت:... كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قلّ يوم إلاّ وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنّت (أي تقدمت في السن)، وفرقت (أي خافت) أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك ﷺ منها. قالت: تقول في ذلك أنزل الله عز وجل وفي أشباهها، أراه قال: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ (صحيح أبي داود).

فإذا استخدم الزوجان كل الخطوات السابقة ولم يتوقفا عن نشوزهما، فلم يبق أمامهما إلاّ الوسيلة الأخيرة للإصلاح، وهي التحكيم.

التحكيم: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥].

وأيضًا كما قال الله تعالى في النشوز واللاتي تخافون نشوزهن، وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا، كذلك قال هنا: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ أي: قبل وقوع الشقاق بالفعل، فيُبعث حكم من أهله يرتضيه، وحكم من أهلها ترتضيه، فيجتمعان معًا لمحاولة الإصلاح والإبقاء على بيت الزوجية قائمًا.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾: فالجمهور من العلماء على أن المخاطب الحكام والأمراء.

وأن قوله تعالى: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾، أن الضمير عائد على الحكمين في قول ابن عباس وعطاء وغيره وقيل بل الضمير يعود على الزوجين أن يريدا إصلاحًا وصدقا فيما أخبرا به الحكمين، والحكمان لا يكونان إلا من أهل الرجل والمرأة، إذ هما أعلم بأحوال الزوجين، على أن يكونا من أهل العدالة وحسن النظر والبصر بالفقه، فإن لم يوجد من أهلهما من يصلح لذلك فيرسل من غيرهما عدلين عالمين.

فإذا فشل التحكيم- الإجراء الأخير- فلا مناص من الطلاق.

على أننا نذكر الزوج بأن المرأة إن كانت كارهة لزوجها ولا تريد العيش معه، فإن كل الوسائل السابقة لن تجدي معها شيئًا، فليتق الله فيها وفي نفسه، وليعمل بقوله تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الطلاق: الطلاق مشروع بالقرآن والسنة والإجماع.

ففي القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وفي السنة: عن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(صحيح أبي داود وغيره).

وقد جاء لقيط بن صبرة إلى رسول الله ﷺ يشكو زوجته، فقال: يا رسول الله، إن لي امرأة، وإن في لسانها شيئًا- يعني البذاء؛ قال: فطلقها إذًا، قال: قلت: يا رسول الله، إن لها صحبة ولي منها ولد؛ قال: فمرها (يقول- عظها)، فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك (أي زوجتك) كضرب أمتك. (صحيح الجامع).

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة». (صحيح أبي داود وغيره).

الإجماع: قال ابن قدامة في المغني: وأجمع الناس على جواز الطلاق.

(فائدة: حديث: «إن أبغض الحلال عند الله الطلاق». حديث ضعيف).

وقد رأينا حرص الإسلام على الأسرة المسلمة واستقرارها، ورأينا الخطوات التي شرعها الله تعالى لرأب الصدع بين الزوجين، إلا أنه قد لا ينفع كل هذا ولا يجدي لاستفحال الخلاف بين الزوجين، فجعل الله الطلاق وسيلة أخرى أشد وأقوى، لعل الأمور ترجع إلى سابق عهدها.

لذا فقد جعله الله مرات ولم يجعله مرة واحدة، وأمر الرجل ألا يخرج المرأة المطلقة من بيته مادامت في عدتها حتى تنقضي، لعل الغضب يذهب ويفكر الزوجان في هدوء.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

أي: لعل الزوج يندم على طلاقها، ولعلها تندم على أنها نشزت عن زوجها، فتعود المياه إلى مجاريها مرة ثانية.

حكم الطلاق

اختلف أهل العلم في حكم الطلاق، فقال بعضهم: الأصل في الطلاق الحرمة ما لم تدع الحاجة إليه، وقال آخرون: إنه مكروه، إن كان بغير حاجة (ولعل ذلك هو الراجح لأنه شرع الله تعالى والحاجة بالنسبة للرجل قد تكون خفية غير منضبطة).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت». (رواه مسلم).

فهذا يدل على أن الطلاق محبوب للشيطان؛ لما يترتب بسببه من فرقة وخلاف وتشتت للأولاد وتضييع لمصالح النكاح.

ولقد ندب النبي ﷺ الأزواج إلى الصبر وعدم التسرع في الطلاق ومداراة الزوجة.

ولقد طلق ابن عمر رضي الله عنهما امرأة له، فقالت له: هل رأيت مني شيئًا تكرهه؟ قال: لا، قالت: فلم تطلق المرأة العفيفة المسلمة؟ قال (عمرو بن دينار): فارتجعها. (رواه سعيد بن منصور وهو صحيح).

وقد أجرى العلماء الأحكام التكليفية الخمسة على الطلاق، على النحو التالي:

الوجوب: مثل أن يقع الشقاق بين الزوجين ولا سبيل للإصلاح بينهما، ويرى الحكمان التفريق بينهما.

وكذلك في الإيلاء إذا مضت عليه أربعة أشهر، يقول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

ومن ذلك أيضًا ترك المرأة للصلاة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويجب على الزوج أمر زوجته بالصلاة، فإن لم تصل وجب عليه فراقها على الصحيح». (الاختيارات الفقهية).

ومن ذلك أيضًا إن زنت المرأة وثبت عليها الزنا، قال الإمام أحمد: لا ينبغي له إمساكها، وذلك لأن فيه نقصًا لدينه ولا يأمن إفسادها لفراشه وإلحاقها به ولدًا ليس هو منه، ولا بأس بعضلها في هذه الحال والتضييق عليها لتفتدي منه. (المغني لابن قدامة).

الاستحباب: إذا كانت المرأة غير مطيعة لربها وزوجها، أو كانت بذيئة اللسان على زوجها وأحمائها وجيرانها، أو خاف أن تحمله على ارتكاب محظور.

ويستحب كذلك إذا رأى أن المرأة متضررة، وشعر منها بضجر، فيكون من باب الإحسان إليها فراقها وإزالة الضرر عنها، وإن كان يحبها، والأولى أن يسعى في إزالة الضرر الذي تضررت بسببه بالموعظة والصبر عليها، فإن وجد أن المصلحة لها في طلاقها طلقها.

الإباحة: إذا كانت نفسه لا تريدها، ولم يطق معاشرتها.

الكراهة: إن كان لغير حاجة وبغير سبب يقتضيه مع استقامة الحال، فمن الكفر بنعمة الله أن يقدم الرجل على طلاق امرأة لم يقع منها ما يدعوه لطلاقها، ولأنه مزيل للنكاح المشتمل على المصالح المندوب إليها فيكون مكروهًا.

التحريم: كان يطلقها في الحيض، أو في طهر جامعها فيه، ويسمى هذا طلاق البدعة، وهو مع حرمته وإثم صاحبه، إلاَّ أنه واقع عند الجمهور.

فالطلاق باعتبار وصفه ينقسم إلى قسمين: سني، وبدعي.

طلاق السنة: وهو الطلاق الموافق لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهو أن يطلق زوجته طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه، ثم يتركها حتى تحيض ثلاث حيضات، وتلك هي العدَّة التي أمر الله أن تطلق النساء لها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ [الطلاق]. أي: طلقوهن مستقبلات لعدّتهنّ، وأحصوا العدة: أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء، والمرأة غير المدخول بها (المعقود عليها فقط) لا عدة لها، ويجوز طلاقها في الحيض وفي غير الحيض.

أو أن يطلقها وهي حامل، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ، فقال: مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملاً.

طلاق البدعة: وهو الطلاق المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهو أن يطلق زوجته وهي حائض أو نفساء، أو أن يطلقها في طهر جامعها فيه، أو أن يجمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد أو في مجلس واحد.

وطلاق البدعة حرام وفاعله آثم، إلاَّ أن الطلاق واقع عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهذا هو الراجح- والله أعلم (لا مجال لبسط الأدلة هنا فارجع إلى مقالاتي: نظرات على الطلاق في الحيض).

وإذا طلق الرجل زوجته وهي حائض حسبت التطليقة ويؤمر بمراجعتها ويطلقها بعد ذلك إذا شاء لما ثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعمر: مره فليراجعها.

وقد اختلف أهل العلم هل هذه المراجعة على الوجوب أم على الاستحباب، فيرى جمهور العلماء أنها على الاستحباب، وذهب مالك إلى الوجوب وهو إحدى الروايتين عن أحمد.

الحكمة في تشريع الطلاق:

كما رأينا أن الله شرع الطلاق عند استحكام الشقاق واستحالة الوفاق بين الزوجين بوصفه الحل الأمثل بعد أن تقطعت كل أسباب المودة والرحمة فكان هذا التشريع الحكيم موافقًا لواقع الناس وحاجاتهم، وهو والذي نفسي بيده لمن محاسن الدين الإسلامي، فما من صغيرة ولا كبيرة يحتاجها الناس إلا شملها هذا التشريع، فإذا قصرت الزوجة في حق زوجها أباح له الإسلام وعظها وهجرها وضربها ضربًا غير مبرِّح، فإذا ما احتدم النزاع كان التحكيم، فإن فشل كل هذا كان لا مناص من الطلاق حفاظًا على الأسرة ووقاية للمجتمع من العواقب التي قد تترتب على الشقاق بينهما.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

يقول الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله-: تشريع تقطعت دونه أعناق الأمم قبل الإسلام وبعده، وها أنت ذا ترى الأمم العظيمة التي تزعم لنفسها المدنية ويزعمها لها الناس، تحاول إصلاح نظام الأسرة، وتشريع القوانين للطلاق، فلا تصل إلى شيء معقول، بل هي تتخبط في الظلمات وتأتي بالبلايا والمضحكات.

وذلك أنها تصدر في تشريعها عن العقل الإنساني القاصر. (نظام الطلاق في الإسلام).

فتشريع الطلاق من محاسن شرع الله تعالى- وتخيل كم كان سيكون من الفساد والفاحشة لو أن الله تعالى لم يشرع الطلاق، مع استفحال البغضاء والنفور بين الزوجين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

حكم الردة في الإسلام

إعداد/ د. محمود المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد شاهدت حلقة للأستاذ/ جمال البنا عن حد الردة، والأستاذ/ جمال البنا يجاهر دائما بإنكار السنة النبوية، ويشرد به فكره إلى نتائج خارجة عما عليه الأمة، لذلك تجده ضيفا دائما على الصحف الصفراء والقنوات الفضائية لأنه ينشر الغريب والمثير، الأمر الذي يناسب رغبة تلك الصحف والقنوات في استقطاب المشاهدين، وهذا خطأ يحتاج إلى تصحيح، فالمفروض أن تختار القنوات الفضائية من العلماء العدول، وتبتعد عن أمثاله من أصحاب الأهواء والنزعات الغريبة فيكفينا ما نحن فيه من بلبلة وفتن.

وقد غابت الأدلة في حلقته عن حد الردة، وفرضت القناعات الشخصية والأهواء المريضة توجهاتها على الحوار، وضربت عرض الحائط بالأدلة والبراهين، وظهر في حلقته على أنه ليس في السنة دليل على حد الردة، وأنه لم يطبق في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه الكرام، وهذا شيء عجيب، فالأدلة من السنة أكثر من أن تغيب عن أذهان الضيوف. كما أن المشكلة في هذه الحلقات أنها ليست على الهواء مباشرة وإنما هي تذاع بعد تسجيلها بعدة أيام، ولو أنك جربت معاناة الاتصال بأي قناة فضائية للمشاركة في أي برنامج يذاع مباشرة لعرفت أن رؤية الغول والعنقاء أيسر من تحقيق الاتصال المطلوب، فهناك حلقة من نفس البرنامج وعلى نفس القناة وكانت تناقش قضية التصوف، وتاهت الحقائق بين الضيوف، وقد حاولت جاهدا المشاركة دون جدوى.

من المهم أن ندرك أن اكتمال هذا الدين يوم حجة الوداع قام على أساس الإيمان والاتباع للكتاب والسنة، وما كان عليه فهم الصحابة والسلف الصالح لهما، فإذا ثبت وصح بالنقل الصحيح قضاء الله ورسوله في المرتد، يكون فتح الكلام في الموضوع من جديد خروجا عن نصوص الدين الكامل، فماذا بعد الحق إلا الضلال المبين، والمسلم يتساءل ما الذي يحدث هذه الأيام؟ كل الثوابت التي استقرت الأمة عليها من قرون، لماذا يعاد فتحها اليوم من جديد، هل نشجع المارقين عن الدين للكفر بالإسلام، أم نروج لمفاهيم الاستخراب الذي تصدره الولايات المتحدة، بدعوى رعايتهم للحريات الشخصية، هدفهم إزاحة المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، ويستعملون عملاء علمانيين مفتونين بالحضارة الغربية، في إنكار ثوابت الدين تارة، أو الكراهية للإسلام كله، فتصبح قضايا ختان الإناث هي قضية الساعة، ويسارع ترزية التشريعات بتفصيل القوانين المُجرِّمَة لمن يريد أن يطبق هذه السنة على بناته، فتراهم ينكصون عن مبدأ الحرية الذي ينادون به ليل نهار، ويفرضون علينا بقوة القانون ما أملته عليهم الولايات المتحدة الأمريكية، وهم اليوم يريدون أن يسمحوا للشيعة والبهائية والقديانية وكل الفرق الضالة أن يكون لها اعتراف، وأن تقام لها المساجد والمعابد، والاعتراف بفرقهم في البطاقات القومية، مع إفساح المجال لحملات التبشير النشطة وسط المسلمين، فيجدوا حد الردة سيفا على رقابهم، فيظهر أمثال الأستاذ/ جمال البنا ببدعة إنكار

السنة، ولم يعلموا أن النبي وأصحابه وسلف الأمة قد طبقوا الحد، وها هي الأدلة على ذلك.

أولا: الرسول يطبق حد الردة: فقد روي: أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَبَعَثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: « اشْرَبُوا أَبْوَالَهَا وَأَلْبَانَهَا »، فَقَتَلُوا رَاعِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الإِبِلَ، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلامِ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ، وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، وَأَلْقَاهُمْ بِالْحَرَّةِ قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَحَدَهُمْ يَكُدُمُ الأَرْضَ بِفِيهِ حَتَّى مَاتُوا، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، أَنَّ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الْحُدُودُ. يقول ابن القيم في زاد المعاد: إن النبي ﷺ سمل أعينهم لما سملوا عين الراعي، والنبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم حدا لله على حرابهم وإفسادهم، فقد تلقوا استضافة النبي لهم بالجحود والنكران، وسرقوا إبله واستاقوها إلى ديارهم، ولما كفروا بعد إسلامهم، تركهم في الشمس حتى ماتوا، وقد ظهر أن القصة محكمة، ليست منسوخة، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود، والحدود قد نزلت بتقريرها لا إبطالها، وجعلت الحد القتل بالسيف.

ثانيا: الصحابة يطبقون حد الردة:

الصديق يقيم حد الردة: فقد قتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه امرأة ارتدت بعد إسلامها يقال لها أم قرفة(١)، وعند البيهقي أن أبا بكر استتابها فلم تتب فقتلها مثلة.

عمر بن الخطاب يأمر بالاستتابة ثلاثا قبل إقامة حد الردة:فقد قيل له: رجل كفر بعد إسلامه، قال: ما فعلتم به؟ قالوا: قربناه فضربنا عنقه، قال: فهلا حبستموه ثلاثا،وأطعمتموه كل يوم رغيفا، واستتبتموه لعله يتوب، ويراجع أمر الله»(٢)

معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري يطبقان حد الردة: ورد في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ رَجُلاً أَسْلَمَ، ثُمَّ تَهَوَّدَ، فَأَتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي مُوسَى، فَقَالَ: مَا لِهَذَا ؟، قَالَ: « أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ، قَالَ: لاَ أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ(٣) إن معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري يطبقان القتل كحد للردة في اليمن على رجل يهودي أسلم ثم ارتد، ولا مجال لمتنطع أن يصرف هذه الرواية عن مضمونها، وانظر إلى قوله قضاء الله ورسوله، لتعلم استقرار حد الردة في قلوب أصحاب النبي ﷺ

علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس يطبقان حد الردة: إن قوما من أتباع عبد الله بن سبأ زعموا أن عليَّ بن أبي طالب هو الله، فلما بلغه ذلك جمعهم واستتابهم ثلاثا ثم حفر لهم وأوقد في الحفرة نارا ليخوفهم حتى يرجعوا عن كفرهم، فلما أبوا حرقهم وألقاهم فيها، والقصة يرويها البخاري في صحيحه فلما بَلَغَ ابْنَ عَبَّاس ذلك، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَلَقَتَلْتُهُمْ»، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ».

إن ابن عباس أقر عليا على قتلهم ولكنه توقف في حرقهم بالنار لأن النار لا يعذب بها إلا الله. ولما عرف علي تعليق ابن عباس قال: وَيْحَ ابْنِ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ لَغَوَّاصٌ عَلَى الْهَنَاتِ، وأقر بأنه أخطأ بحرقهم.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: « إِنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ، يَعْنِي الْمَدِينَةَ، لاَ يَصْلُحُ فِيهَا مِلَّتَانِ، فَأَيُّمَا نَصْرَانِيٍّ أَسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ

وفي حديث مشهور قارب حد التواتر رواه ثمانية من الصحابة: أبو هريرة، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن حيدة الأنصاري، وعبد الله بن عمر، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن أسلم، وأرسله الحسن البصري، وورد ١٠٤ مرة في مصادر الحديث الشريف وفق استقصاء برنامج جوامع الكلم، وهو أول جمع حقيقي للسنة المطهرة، يقول النبي ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، وفي رواية: «من رجع عن دينه فاقتلوه»، وفي لفظ: «من ارتد عن دينه فاقتلوه»، وفي لفظ: «من بدل دينه فاقتلوه»، هكذا جاءت النصوص بلا أي قيد أو شرط، وليس كما أوردتم أن حد المرتد قيدته روايات أخرى اشترطت: محاربة المرتد للمسلمين، فخصصتم الحد ولا يوجد في نصوص الأحاديث هذا التخصيص الذي دار حوله النقاش في حلقة الوسطية.

ثالثا: آثار التابعين حول الردة: خصص الإمام البخاري كتابا في صحيحه سماه استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، وكذا صنع كثير من مصنفي مصادر الحديث، ومنهم من ذكر حد الردة في كتاب الحدود، فالأمر مستقر طوال القرون الثلاثة الأولى التي سماها النبي خير القرون. كما كثرت أقوال التابعين عن حد المرتد، ولا خلاف بينهم على قتل الرجل المرتد، والخلاف بينهم حول المرأة المرتدة، وننقل جملة من آثار أعلام التابعين حول حد الردة، ومنها:

عن طاوس قال: لا يقبل منه دون دمه، الذي يرجع عن دينه(٤).

عن إبراهيم النخعي في المرتد قال: يستتاب، فإن تاب ترك، وإن أبى قتل(٥).

عن ابن شهاب الزهري أنه قال: يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات، فإن أبى ضربت عنقه(٦).

عن عطاء قال في الإنسان يكفر بعد إسلامه، يدعى إلى الإسلام، فإن أبى قتل(٧).

عن ابن جريج أنه قال: أخبرني عمرو بن دينار في الرجل يكفر بعد إيمانه، قال: سمعت عبيد بن عمير يقول: يقتل(٨).

رابعا: حكم الردة في المذاهب الأربعة

مذهب الأحناف: يقول القاشاني في بدائع الصنائع: « مِنْهَا – أي من أحكام المرتد- إبَاحَةُ دَمِهِ إذَا كَانَ رَجُلًا، حُرًّا كَانَ أَوْ عَبْدًا ؛ لِسُقُوطِ عِصْمَتِهِ بِالرِّدَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ﴾. وَكَذَا الْعَرَبُ لَمَّا ارْتَدَّتْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَجْمَعَتْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ »- بدائع الصنائع ١٥ / ٤٢١ .

مذهب المالكية: قال ابن عبد البر في الكافي في فقه أهل المدينة: «حكم المرتد ظاهرا، وحكم من أسر الكفر، أو جحد فرضا مجتمعا عليه، أو أبى من أدائه أو سحر، وكل من أعلن الانتقال عن الإسلام إلى غيره من سائر الأديان كلها طوعا من غير إكراه، وجب قتله بضرب عنقه. –

الكافي ٢ / ٢١٠٠.

مذهب الشافعية: قال الإمام النووي في المجموع شرح المهذب: «إذا ارتد الرجل وجب قتله، سواء كان حرا أو عبدا، لقوله ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفسا بغير نفس)، ثم قال: وقد انعقد الاجماع على قتل المرتد، وان ارتدت امرأة حرة أو أمة وجب قتلها، وبه قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه والحسن والزهرى والأوزاعي، والليث ومالك وأحمد وإسحاق المجموع شرح المهذب ١٩ /٢٢٨ .

مذهب الحنابلة: قال ابن قدامة في المغني: «وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ الْمُرْتَدِّ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَمُعَاذٍ، وَأَبِي مُوسَى، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَخَالِدٍ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ، فَكَانَ إجْمَاعًا ».

المغني مع الشرح الكبير ٩ / ١٦ .

ونكتفي بهذا القدر خشية الإطالة بعد أن أثبتنا حد الردة من فعل النبي وأصحابه ثم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، وبهذا يظهر أن السعي إلى رضا دول الغرب على حساب ثوابت الدين، أمر لا يقدم عليه إلا أعوان الظلمة وأتباع الشياطين، إن الإسلام لا يرغم أحدا على الدخول فيه لقوله تعالى: لا إكراه في الدين، وليس معنى هذا ترك الباب مفتوحا أمام اللاهين والعابثين، يدخلون اليوم ويخرجون غدا، إن الحدود في الإسلام تقيد اللذة، فالزاني والزانية يتمتعان بالمتعة الحرام، والرجم قيد لحريتهما من العبث بمحارم الله، وقطع يد السارق، نكالا عندما أطال يديه ومدهما إلى مال غيره، فحريته في سرقة مال غيره، تجعل الإسلام يقطع يده، ولا أحد يقول إن حرية السارق مسلوبة، وحبه للمال يقيده الإسلام،وعندما حارب الصديق مانعي الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، أفيترك الإسلام من يهدم ركنه الأول وهو شهادة التوحيد بلا قصاص، فلا نامت أعين الخبثاء أصحاب الأهواء.

والله ولي التوفيق.

الهوامش

١ - أخرجه الدارقطني في سننه ٢٨١١ ، والبيهقي في سننه الصغير ١٤٥٠، وفي السنن الكبرى حديث ١٥٥٢١، الأموال للقاسم بن سلام حديث ٤١٨ ، وكتاب المحاربة من موطا ابن وهب حديث ٢٣ .

٢ - أخرجه الشافعي في الأم حديث ٤٤٣

٣ - أخرج البخاري في كتاب الأحكام من صحيحه حديث رقم ٦٦٥٣، وابن حزم باسناد حسن رجاله ثقات في المحلى بالآثار حديث ١٤٩٤، والنسائي باسناد حسن رجاله ثقات في السنن الصغرى حديث رقم ٤٠٢٢

٤ - مصنف عبد الرزاق حديث ١٨٠٨٨، وطاوس بن كيسان كما قال عنه أبو سعد السمعاني: حجة باتفاق، وقال عنه أبو حاتم بن حبان البستي: من عباد أهل اليمن، ومن فقهائهم ومن سادات التابعين، وقال عنه النووي: اتفقوا على جلالته وفضيلته، ووفور علمه، وصلاحه، وحفظه، وتثبته

٥ - مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٤١٠، وإبراهيم النخعي ثقة باتفاق

٦ - مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٤١٢، وابن شهاب الزهري إمام محدث معروف، قال عنه ابن حجر العسقلاني في التقريب: الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه

٧ - مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٤١٣، واما عطاء فهو بن أبي رباح أسلم ، قال عنه أبو حاتم بن حبان البستي: كان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا وفضلا، وقال عنه الذهبي: ثبت رضي حجة إمام كبير الشان

٨ - مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٤١٣، وكان شعبة بن الحجاج بن الورد أحد أعلام المحدثين لا يقدم على عمرو ابن دينار أحدا، يعني في الثبت، ومرة: لم أر مثله، وكان ابن شهاب الزهري يقول: ما رأيت شيخا أنص للحديث الجيد منه.

الأسرة المسلمة في الحج

إعداد / جمال عبدالرحمن

الحمد لله الذي أرسل إلينا خير رسله، وأنزل علينا خير كُتبه، وشرع لنا فيه أفضل شرائع دينه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه يرجعون.

وبعد:

فلقد فرض الله علينا الحج وجعله من أركان دينه الإسلام الذي ارتضاه للناس دينًا، وجعل في هذه الشعيرة الأسرار والعبر، والدروس والحِكَم، والتربية والتزكية، والفوائد الممتعة، والآداب النافعة، والوصايا الجامعة، والمواقف الرائعة، فالحج هو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار والرحلات، ينتقل فيها المسلم بقلبه وبدنه وماله إلى البلد الأمين لمناجاة رب العالمين، ونيل المغفرة والتوبة من ولي الصالحين رب الخلائق أجمعين، رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم.

فما أروعها من رحلة، وما أعظمه من منظر يأخذ بالألباب. أخي... أختي: هل شممتم عبيرًا أزكى من غبار المحرمين ؟ هل رأيتم لباسًا قط أجلّ من لباس الحجاج والمعتمرين ؟ هل رأيتم رؤوسًا أعز وأكرم من رؤوس المحلقين والمقصِّرين ؟ هل مر بكم ركب أشرف من ركب الطائفين ؟ هل هزكم صوت أطرب وأروع من تلبية الملبين وأنين التائبين وتأوه الخاشعين، ومناجاة المنكسرين ؟

يا لجلال الموقف وروعة اللقاء، وعظمة الخُطى في القدوم على الحي القيوم، وهي راغبة في توبة مقبولة ورجعة إلى الله موصولة، وجنة مأمولة، بعد مغفرة لذنوب قد سلفت، وخطايا أحاطت.

جاء وفد الحجيج في موقف بهيج يعلن البراءة من الشرك وأهله، ومن دماء سُفكت، وأموال حُرِّمتْ، وتُرحِّب بأفضل ما قال النبيون: «لا إله إلا الله»، وتكبر مع أغلى دم وأزكاه، دم أريق في سبيل الله، وقد عادت الذكريات لوفد الحجيج بإمامهم الذي يأخذون عنه مناسكهم، وكأنهم ينظرون إليه، صلوات ربي وسلامه عليه، وهو يتقدم ذلك الجمع الغفير، وقد أنار الله به الأفكار، ووضع به الآصار، وغسل به الآثام والأوزار، إنه النبي المصطفى المختار، أطهر نفس أحرمت، وأزكى روح هتفت، وأفضل قدم سعت لله وطافت، وأعذب ثغر نطقت شفاهه وكبرت وهللت، وأشرف يد رمت واستلمت، انظر خطاه وهو يتنقل بين المشاعر، يهتف إلى الملأ الغفير الطاهر، في مظهر من أجَلّ مظاهر التقوى للرب القوي القاهر، بعبارات ناصعة... لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

المسلم في الحج

أخي المسلم... أخي المربي، أخي راعي البيت المسلم، كن في حجك لله خاضعًا، بنبيك مقتديًا وسامعًا وطائعًا، أما سمعت النبي ﷺ وهو يقول: «خذوا عني مناسككم». (رواه مسلم)، ويقول ﷺ : «خذوا عني، خذوا عني». (رواه مسلم). ويقول ﷺ:

«اتركوني ما تركتكم، فإذا حدثتكم فخذوا عني، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

(رواه الترمذي، وصححه الألباني).

فلعلك يا أخي بعنايتك بالخضوع والإذعان والتسليم والامتثال والاستقامة، وترك الجدال تنال من الله يوم القيامة شرف الرؤية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: رؤية الله عز وجل، كما تنال مع رسول الله ﷺ الصحبة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة النبي محمد، في أعلى غرف الجنة، جنة الخلد». (مسند أحمد، صحيح بشواهده).

أخي المسلم: تذكر وأنت في حجك يوم أتم الله تعالى على المؤمنين نعمته، وأكمل لهم دينهم، وأنزل الآية التي تدل على ذلك: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. قال عمر رضي الله عنه: إني لأعلم أي مكان أنزلت؛ أنزلت ورسول الله ﷺ واقف بعرفة يوم جمعة.

(رواه البخاري في صحيحه).

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن وكيع قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... ﴾ يوم الحج الأكبر، فبكى عمر، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: يا رسول الله، أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل قط شيء إلا نقص، قال: «صدقت». (جـ٧/٣٤٤٠٨).

يا لنفس عمر رضي الله عنه، نفس مؤمنة تكاد تستشف الحقائق من وراء الحجب، ويتعجب الحبيب ﷺ من فقه عمر رضي الله عنه وفهمه الصائب فيجيبه في إعجاب وإكبار واعتراف: «صدقت». صدق رسول الله ﷺ، وصدق ولي الله عمر رضي الله عنه، ث
ذلك النقص الذي لا يعوض
النقص وفاة صاحب الرسال
ﷺ، فقد مات النبي ﷺ بع
تنزلت فيه هذه الآية بواحد وثما
قال ابن جرير رحمه الله.

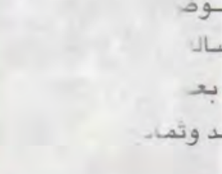

أخي الحاج: كن رحيمًا بأهلك، إن كانت بصحبتك في الحج، طيّب خاطرها وأحسن صحبتها، وأكرم رفقتها، فقد حجت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع سيد البشر ﷺ، وفجأة جاءت تبكي وتنحدر دموعها على خديها حزنًا على فوات العمرة التي فاتتها بسبب ما اعتراها مما كتب الله على بنات آدم من الحيض الذي عاقها عن الطواف بالبيت، فيأبى ﷺ إلا أن يجبر خاطرها ويطيب قلبها حتى ترجع من الحج مسرورة، فيأمر أخاها عبد الرحمن أن يذهب بها إلى التنعيم، فتهل من هنالك بعمرة، وهذا من حرصها وحبها للطاعة، فقد شق عليها أن يرجع الناس بعمرة وحج، وترجع هي بحج فقط، رضي الله عنها.

المرأة المسلمة في الحج

كم للمرأة المسلمة من موقف في الحج لها فيه ذكرى، وكم من مقام لها فيه معنى، هل السعي بين الصفا والمروة إلا ذكرى من ذكريات أمنا هاجر عليها السلام؟ وهل فاض ماء زمزم إلا بفيض من إيمانها ودعائها وندائها واستشرافها لتروي عطشها وعطش ابنها؟ يا من قصدتِ البيت الحرام لأداء ركن من أركان الإسلام، أما طاف بخيالكِ وعقلكِ وأنتِ تطئين بقدمكِ ثرى مكة، الصورة المشرقة للمرأة المؤمنة الواثقة بربها- هاجر التي جاء بها إبراهيم ومعها ابنها إسماعيل، وأسكنها بواد غير ذي زرع عند بيت الله الحرام، وهي ترضع ولدها، وليس بمكة يومئذ أحد، ولا ماء، فوضعهما إبراهيم هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفّى منطلقًا وتركهما، وهي تتبعه وتقول له: يا إبراهيم؛ أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ وأعادت عليه ذلك مرارًا وهو لا يلتفت إليها، فقالت: يا إبراهيم؛ آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فقالت كلمتها الرائعة الخالدة الناصعة: إذًا لا يضيّعنا. فهل رأيتِ أختنا المؤمنة قوة الإيمان وقوة الثقة بالله والاعتصام به والتوكل عليه والتسليم له سبحانه؟

أما طاف بخيالك أيتها المسلمة صورة

مشرقة لأمك- أم المؤمنين- خديجة رضي الله عنها وهي تتابع في لهفة وشوق مسيرة الدعوة وثمرات الرسالة؟ أما تراءت أمام ناظريك لمحة ممتعة لأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ذات النطاقين التي كانت تقطع المسافات الطويلة في وهج الشمس والظهيرة تحت لهيب الشمس المحرقة حاملة الزاد من بطن مكة إلى غار ثور حيث يأوي رسول الله ﷺ وأبوها أبو بكر الصديق، وقد أرادت أن تربط الزاد لهما فلم تجد ما تربطه به، فشقت نطاقها نصفين لتربط الزاد بنصف، وتنتطق بالنصف الآخر، فسميت بذلك «ذات النطاقين»، تلك المرأة التي أسهمت في نصرة الحق وفي إتمام خطة الهجرة، رضي الله عنها وأرضاها.

أختاه: أما تذكرت وأنت بخيمة الحج أمك- أم المؤمنين- عائشة رضي الله عنها حين قدمت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهي تخبر أنها كانت مع أخواتها من المؤمنات الصحابيات المحرمات يكشفن وجوههن إحرامًا، فإذا مر بهن الركبان والرجال الأجانب أسدلن الأغطية على وجوههن؟ أما تذكرت ذلك فسرت على نهجها وفعلت فعلها؟ فإنك لا ترضين لنفسك أن تأتي للحج للبحث عن المغفرة فتكوني عونًا لإبليس على فتنة المؤمنين وإغواء المحرمين بإظهار محاسنك ومفاتنك أمام المسلمين، فتبوئي بالإثم العظيم، ويعود الناس بذنوب مغفورة، وأعمال مشكورة وترجعين أنت آثمة مأزورة، ومعاذ الله فأنت لا ترضين ولا نرضى لك ذلك، فأنت أبعد وأعقل عن هذه التصرفات الخاطئة، أنت من المحتشمات الحييات العفيفات.

أختاه المربية: لا مانع من اصطحاب بعض أطفالك للحج إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة خرجت حاجة رفعت صبيًا لها فقالت: يا رسول الله؛ ألهذا حج؟ قال: «نعم ولك أجر». (مسلم). وفي رواية لأبي داود عنه قال: كان رسول الله ﷺ بالروحاء فلقي ركبًا فسلم عليهم فقال: مَن القوم؟ فقالوا: المسلمون، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رسول الله ﷺ، ففزعت امرأة فأخذت بعضد صبي فأخرجته من مَحَفَّتها (هودجها)، فقالت: يا رسول الله؛ هل لهذا حج؟ قال: «نعم، ولك أجر». (صحيح).

شباب المسلمين في الحج

كثير من الناس يؤجل فريضة الحج حتى يشيب، فليس مناسبًا في تقديره أن يحج وهو صغير، هذا إذا كان في نيته الحج أصلاً، وإن كادت هذه النماذج أن تنقرض، لكن بقي منها بقية.

لكننا نرى شباب السلف رضوان الله عليهم يعتنون بذلك في شبابهم فيسارع أحدهم إلى أداء ذلك الركن العظيم وهو في شبابه وقوته.

عن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد هذه الناحية؛ الحج، قال: فمشى معه رسول الله ﷺ، قال: «يا غلام؛ زودك الله التقوى، ووجهك في الخير، وكفاك الهم». فلما رجع الغلام سلم على النبي ﷺ فرفع النبي ﷺ رأسه إليه وقال: يا غلام، قُبِل حجك، وكُفِّر ذنبك، وأخلف نفقتك».

(رواه ابن خزيمة في صحيحه، والترمذي ٥/٣٤٤٤، وقال: حديث حسن غريب).

وفي رواية عند الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاءه رجل وقال: يا رسول الله؛ إني أريد سفرًا فزودني فقال ﷺ: «زودك الله التقوى وغفر ذنبك، ويسَّر لك الخير حيثما كنت». (صحيح الجامع: ح٣٥٧٩).

وكذا فإن محمد بن أنس الظفري، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن أسبوعين، فمسح رأسه وحج به حجة الوداع وهو ابن عشر سنين.

(معرفة الثقات ٣/٣٦٧).

فاللهم ارزقنا حج بيتك الحرام، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة التاسعة والثمانون

قصة مفتراه على موسى عليه السلام

إعداد / على حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص الذين لا دراية لهم بمنهج أهل السنة والجماعة، وغرهم أنها موجودة في بعض كتب السنة.

أولاً: المتن

رُوي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما كَلَّم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه، قال له موسى: يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به يوم ناديتني؟ قال: يا موسى، لا، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الألسنة كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا: يا موسى صف لنا كلام الرحمن؟ قال: سبحان الله، ومن يطيق ذلك؟ قالوا: فشبهه لنا؟ قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق حين تقبل في أحلى حلاوة سمعتموه فإنه قريب منه وليس به».

ثانياً: التخريج

أخرجه الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» باب قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ «الأنعام: ١٩».

وهو الحديث الثامن في الباب (ص٤٠٩) حيث قال البيهقي: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار ببغداد أنا إسماعيل بن محمد الصفار نا سعدان بن نصر نا علي بن عاصم ح. وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي، قالا نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا يحيى بن أبي طالب أنا علي بن عاصم أنا الفضل بن عيسى نا محمد بن المنكدر نا جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ به.

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٢/١) من طريق علي بن عاصم عن الفضل بن عيسى الرقاشي قال حدثني محمد بن المنكدر قال: حدثنا جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ به.

ومن نفس الطريق أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» :(٣٢٥٣)، ومجمع الزوائد (٢٠٤/٨).

ثالثاً: التحقيق

القصة واهية والحديث الذي وردت به لا يصح وعلته الفضل بن عيسى الرقاشي.

١- قال ابن حبان في «المجروحين» (٢١٠/٢): «الفضل بن عيسى الرقاشي: كنيته أبو عيس وهو ابن

أخت يزيد الرقاشي، وكان خال المعتمر بن سليمان من أهل البصرة يروي عن الحسن ويزيد الرقاشي، روى عنه أهل البصرة وكان قدريًا داعية إلى القدر، وكان يقص بالبصرة ممن يروي المناكير عن المشاهير، سمعت الحنبلي يقول: سمعت أحمد بن زهير يقول: سألت يحيى بن معين عن الفضل الرقاشي يروي عن محمد بن المنكدر فقال: كان قاصًا رجل سُوء، فقلت: فحديثه ؟ فقال: لا يسأل عن القدري الخبيث». اهـ.

٢- قال العقيلي في الضعفاء الكبير (١٤٩٠/٤٤٢/٣):

أ- حدثنا محمد بن أيوب حدثنا موسى بن إسماعيل قال: سمعت سلام بن أبي مطيع قال: لو أن الفضل بن عيسى الرقاشي ولد أخرس كان خيرًا له.

ب- حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا محمد بن المثنى قال: ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن الفضل بن عيسى الرقاشي شيئًا.

جـ- حدثنا محمد حدثنا عباس قال: سمعت يحيى قال: الفضل الرقاشي رجل سوء قدري.

د- حدثنا عبد الله قال: قيل لأبي: الفضل بن عيسى الرقاشي ؟ قال: ضعيف». اهـ.

٣- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (١٣/٦) (١٥٥٩/١): الفضل ين عيسى الرقاشي بصري خال المعتمر:

أ- حدثنا محمد بن أحمد بن حماد حدثني عبد الله سئل أبي عن الفضل بن عيسى الرقاشي فقال: ضعيف. قيل له: فيزيد الرقاشي قال: كان شعبة يشبهه بأبان بن أبي عياش.

ب- سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: فضل بن عيسى أبو عيسى الرقاشي خال معتمر عن عمه يزيد والحسن قال عبد الله بن محمد عن ابن عيينة: قال: كان يرى القدر وليس أهلاً أن يروى عنه.

جـ- وقال موسى بن إسماعيل: سمعت سلام بن أبي مطيع يقول: لو أن فضلاً الرقاشي ولد أخرس كان خيرًا له من أن يتكلم يُعَدُّ في البصريين.

د- ثم أخرج له أحاديث مناكير ثم قال: والفضل بن عيسى غير ما ذكرت من الحديث، والضعف بين على ما يرويه. اهـ.

٤- وأورده الإمام الذهبي في الميزان (٦٧٤٠/٣٥٦/٣) وقال: «الفضل بن عيسى الرقاشي ابن أخي يزيد الرقاشي، يروي عن أنس وغيره ضعفوه وهو بصري خال المعتمر بن سليمان». اهـ.

ب- ثم نقل الإمام الذهبي أقوال الأئمة أحمد وابن عيينة وسلام بن أبي مطيع وابن معين وأقرها.

جـ- ثم نقل عن أبي سلمة التبوذكي أنه قال: «لم يكن أحد ممن يتكلم في القدر أخبث قولاً من الفضل الرقاشي وهو خال المعتمر». اهـ.

٥- وأورده الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٢٥٤/٨) وقال: الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي أبو عيسى البصري الواعظ. ونقل أقوال أئمة علماء الجرح والتعديل وقال:

أ- قال إسحاق بن منصور عن ابن معين سئل عنه ابن عيينة فقال: لا شيء.

ب- وقال أبو زرعة: منكر الحديث.

جـ- وقال أبو حاتم: منكر الحديث في حديثه بعض الوهن ليس بقوي.

د- وقال الآجري: قلت لأبي داود: أكتب حديث الفضل الرقاشي؟ قال: لا، ولا كرامة. وقال مرة: كان هالكًا». اهـ.

٦- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٦٧/٦٤/٧):

أ- الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ابن أخي يزيد الرقاشي وهو ابن عيسى بن أبان أبو عيسى خال المعتمر بن سليمان وكان واعظًا». اهـ.

قُلْتُ: وأخرج ابن أبي حاتم بسنده مؤكدًا ما نقله الأئمة عن ابن معين حيث قال:

ب- أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة فيما كتب إليّ قال: «سألت يحيى بن معين عن الفضل الرقاشي فقال: روى عن ابن منكدر وكان قاصًا وكان رجل سوء، قال: قلت: فحديثه ؟ قال: لا تسل عن القدري الخبيث». اهـ.

جـ- وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن الفضل بن عيسى الرقاشي: «قال في حديثه بعض الوهن وهو منكر الحديث ليس بقوي». اهـ.

د- وقال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن الفضل الرقاشي. «فقال: منكر الحديث». اهـ.

٧- قلت: لما كان كتاب «التقريب» للحافظ ابن حجر مبنيًا على قاعدة هامة في الجرح والتعديل، فكان لابد من بيان القاعدة أولاً ثم نذكر قول الحافظ في الفضل بن عيسى الرقاشي ثانيًا حتى تستبين ألفاظه في الجرح والتعديل.

أ- القاعدة:

قال الحافظ في «مقدمة التقريب» (٤/١): «إني أحكم على كل شخص منهم بحكم يشمل أصح ما قيل فيه وأعدل ما وصف به بالخص عبارة وأخلص إشارة بحيث لا تزيد كل ترجمته على سطر واحد غالبًا يجمع اسم الرجل واسم أبيه وجده ومنتهى أشهر نسبته ونسبه وكنيته ولقبه مع ضبط ما يشكل من ذلك بالحروف ثم

صفته التي يختص بها من جرح أو تعديل ثم التعريف بعصر كل راو منهم بحيث يكون قائمًا مقام ما حذفته من ذكر شيوخه والرواة عنه». اهـ.

ب- تطبيق هذه القاعدة على الفضل بن عيسى:

قال الحافظ في «التقريب» (٢/١١١): «الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي أبو عيسى البصري الواعظ منكر الحديث ورمي بالقدر من السادسة». اهـ.

قُلتُ: وبهذا يتبين أن عبارة الحافظ في الجرح مأخوذة من أقوال أئمة الجرح والتعديل كما هو مبين آنفًا بالتخريج حتى لا يقول قائل: من أين أتى ابن حجر بهذه العبارة؟

٨- ولقد حكم الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/١١٣) على الحديث الذي جاءت به هذه القصة بأنه موضوع، وبنى حكمه هذا على أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفًا حيث ذكرها عقب الحديث وختمها بقول يزيد بن هارون قال: «الفضل بن عيسى الرقاشي مازلنا نعرفه بالكذب». اهـ.

٩- وكذلك أورد هذه القصة ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١/١٤١).

١٠- ولقد أورد حديث هذه القصة الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/٢٠٤) وقال: «رواه البزار وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وهو ضعيف». اهـ.

قُلت: ولقد بينا بالتفصيل درجة هذا الضعف التي بها أصبحت القصة واهية منكرة.

□□ رابعًا: الرد على فرية تشبيه كلام الله عز وجل بالصواعق □□

١- لقد بوّب الإمام ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» بابًا بعنوان «تشبيه كلام الله عز وجل بالصواعق»، ليذكر تحت هذا الباب الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية ليبين أن الحديث موضوع، وهذا المصطلح عند علماء هذا الفن هو: «الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ﷺ».

ورتبته: هو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها.

وحكم روايته: أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مع بيان وضعه، لحديث مسلم: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

قاعدة أصولية: «الأصل الأول»:

٢- هذه القاعدة الأصولية تبين اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة- أهل السنة والجماعة- ويظهر منها أن هذه القصة منكرة.

وقد ذكر هذه القاعدة الأصولية شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣/٣) فقال: «أما الأول وهو (التوحيد في الصفات) فالأصل في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه». اهـ.

طريقة سلف الأمة في تطبيق هذه القاعدة:

٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣/٣): «وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع أثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد».

٤- ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ «الشورى: ١١».

٥- ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾: ردٌّ للإلحاد والتعطيل». اهـ.

قاعدة أصولية أخرى: «الأصل الثاني»:

٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣/٢٥): «وهذا يتبين بالأصل الثاني وهو أن يقال: «القول في الصفات كالقول في الذات»، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات». اهـ.

بدعة السؤال عن الكيفية:

٧- قال شيخ الإسلام: «فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهما: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة». لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه». اهـ.

سؤال آخر

٨- وقال شيخ الإسلام: «وإذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه

واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟».

وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم واستواؤهم». اهـ.

قُلْتُ: من هذه القواعد الأصولية لاعتقاد سلف الأمة وأئمتها يتبين نكارة ما جاء في هذه القصة الواهية من قول بني إسرائيل لموسى عليه السلام: «شبه لنا كلام الرحمن ؟ والافتراء على موسى عليه السلام أنه أجابهم بتشبيه كلام الله بالصواعق، والادعاء بأن نبينا محمداً ﷺ أخبر بأن موسى عليه السلام قال مشبهًا كلام الله: ألم تروا إلى أصوات الصواعق حين تقبل في أحلى حلاوة...».

قُلْتُ: وتظهر النكارة في تمثيل صفة كلام الله من القواعد الأصولية التي أوردناها آنفًا ومن قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ «النحل: ٧٤».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٠/٣): «والله سبحانه لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه».

ثم قال في الفتاوى (١٦/٣): «فلابد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته بخلقه:

أ- فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى: كان معطلاً جاحدًا ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات.

ب- ومن قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي أو يدان كيداي أو استواء كاستوائي كان مشبهًا ممثلاً بالحيوانات.

جـ- بل لا بد من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

د- ويتبين هذا (بأصلين) شريفين، ثم قال: فأما الأصلان: فأحدهما: «القول في بعض الصفات كالقول في بعض». كذا في (٧/٣)، والثاني: «القول في الصفات كالقول في الذات». وقد بيناه آنفًا.

خامساً: نكارة أخرى في المتن

افترى واضع الحديث الذي جاءت به القصة حيث نسب لرسول الله ﷺ أنه أخبر عن رب العزة أنه كلم موسى بقوة عشرة آلاف لسان، ثم قال: «ولي قوة الألسنة كلها». وهذا يوهم من لا دراية له باعتقاد أهل السنة والجماعة أن لله صفة اللسان وقوته لقوة الألسنة كلها، وهذا كما بين علماء الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، وواضعه واعظ قصاص قدري خبيث رجل سوء منكر الحديث، كما بينا آنفًا.

سادساً: معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام

١- قال الحكمي في «المعارج» (٢٥٥/١): وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته، والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به، أزلية بأزليته، باقية ببقائه، لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك، لم تجدد له صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قلت: ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على صفة الكلام في مائة وثلاثين سطرًا، ثم قال: «وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئة وإرادة يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة، يسمعه من يشاء من خلقه، وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ «الأحزاب: ٤».

وقال: ﴿سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ «يس: ٥٨».

وقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ «الطارق: ١٣، ١٤». قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥٨٤/١٢): «والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب، ولا مثل صوته، فإن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلامًا لغيره لا جبريل ولا غيره، وأن العباد يقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ والكلام كلام الباري». اهـ.

فالصوت والألحان صوت القاري
لكنما المتلو قول الباري

بهذا البحث يتبين أهمية الإسناد في الكشف عن نكارة هذه القصة الواهية، وهذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الغلو عند اليهود والرافضة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نتناول في هذا المقال غلو الرافضة في أئمتهم، وطعنهم في صحابة النبي الأخيار.

أولاً: الغلو في الأئمة

لقد غالى الرافضة في أئمتهم حتى رفعوهم فوق البشر، وأثبتوا لهم من الصفات ما لا يليق إلا برب العالمين سبحانه، فالأئمة عندهم يعلمون الغيب، ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء، وهم يعلمون ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة، وهم يعلمون كذلك ما في أرحام النساء وأصلاب الرجال وما في الجنة والنار، فضلاً عن كونهم معصومين من الذنوب، فلا يصدر منهم من الصغائر إلا ما كان جائزًا من الأنبياء.

بل قد غالى بعضهم فقالوا بعصمة الأئمة من الصغائر كذلك، وتعاليم الأئمة عندهم كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً معينًا، وإنما هي تعاليم للكل في كل العصور والأمصار، بل زاد غلوهم في أئمتهم إلى أنهم رفعوهم فوق درجة الأنبياء حتى أولي العزم من الرسل، ومن ثم فيجب على كل مسلم أن يأخذ بتعاليم الأئمة ولا يكتفي بما ورد عن النبي ﷺ، ولم يكتفوا بهذا، بل إن بعضهم زعم أن عليًا رضي الله عنه كان له من الفضائل ما لم يكن لرسول الله ﷺ، يُضاف إلى ذلك أن بعضهم يعتقد أن الأئمة أفضل من الملائكة حيث إنهم علموا الملائكة التوحيد وبهم عرفوا الله، بل يزيدون على ذلك أن الأئمة يملكون إحياء الموتى، وإليك النصوص التي تبين جانبًا من تلك المعتقدات الفاسدة.

١- يقول محمد رضا المظفر: «ونعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان». (عقائد الإمامية ص١٠٤).

٢- يقول الخميني: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصًا، وإنما هي تعاليم في كل عصر وإلى يوم القيامة يجب اتباعها وتنفيذها». (الحكومة الإسلامية ص١١٣).

إعداد/ أسامة سليمان

٣- نسب الصدوق- زورًا وبهتانًا- للنبي ﷺ أنه قال: «علي بن أبي طالب خير البشر ومن أبى فقد كفر». (أمالي الصدوق ص٧١).

٤- عن أبي جعفر أنه كان يقول: «بنا عُبِدَ الله، وبنا عُرِفَ الله، وبنا وَعَدَ الله، ومحمد ﷺ حجاب الله». (بصائر الدرجات ص٨٤).

٥- عن محمد بن جعفر عن أبيه- عليهما السلام- قال: نزل جبريل على النبي ﷺ فقال: «يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما عليهن وما خلقت خلقًا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبدًا دعاني منذ خلقت السماوات والأرض ثم لقيني جاحدًا لولاية علي لأكببته في سقر». (المحاسن ص٩٠).

هذا قليل من كثير في اعتقاد الرافضة في أئمتهم، وغلوهم فيهم، ولا يخفى ذلك على من نظر في كتبهم وراجع مصادرهم.

ثانيا: بغضهم لأصحاب النبي ﷺ:

وعجيب أمر هؤلاء الرافضة؛ في الوقت الذي يؤلهون فيه الأئمة ويغالون فيهم؛ يطعنون في أصحاب النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، ويعادونهم ويبغضونهم أشد البغض، ويعتقدون أنهم كفار مرتدون، بل إن أعظم العبادات والقربات التي يتقربون بها إلى الله في اعتقادهم هو سب الصحابة ولعنهم، ولأجل ذلك وضعوا آلاف الروايات عن أئمتهم في ذلك الباب، وتلك نماذج من رواياتهم التي يتنقصون فيها الصحابة الأخيار وأمهات المؤمنين الأبرار.

١- جاء في الكافي «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة هم: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي».
(روضة الكافي ٨/٢٤٥- ٢٤٦).

٢- روى الكليني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ هم الذين ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. (أصول الكافي ١/٤٢٠).

٣- يقول محمد باقر المجلسي: «وعقيدتنا أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم». (حق اليقين ص٥١٩).

٤- يروي المسعودي عن علي بن الحسين أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المدخل فينا من ليس منا، والمخرج منا من هو فينا، والقائل إن لهما في الإسلام نصيبًا، يعني هذين الصنمين». (كتاب الوصية ص١٠٥).

٥- ولا يخفى على من نظر في كتبهم ذلك الدعاء المشهور الذي يتقربون به إلى الله ويسمونه «دعاء صنمي قريش». والذي يلعنون فيه أبا بكر وعمر، وابنتيهما عائشة وحفصة، رضي الله عنهم.
(راجع مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار ص١١٣- ١١٤).

٧- ويزعمون أن عليًا رضي الله عنه كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وكان يقول: «إن الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ في بدر وأحد وحنين بألف سهم». (علم اليقين في أصول الدين ٢/٧٠١).

٨- وعلى نفس درب السابقين سار المعاصرون منهم في سب الصحابة وأمهات المؤمنين- رضوان الله عليهم أجمعين-، من ذلك ما ورد عن نائب إمامهم المعصوم آية الله الخميني في «كشف الأسرار»: «لا شأن لنا بالشيخين وما قاما به من مخالفات للقرآن ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللاه وحرماه من عندهما وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين». (كشف الأسرار ص١٢٦).

ويستمر في سبه للصحابيين الجليلين فبعد اتهامه إياهما بالجهل يقول: «إن مثل هؤلاء الأفراد الجهال الحمقى وكذلك الأفاقين والجائرين غير جديرين بأن يكونوا في موقع الإمامة، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر». (كشف الأسرار ص١٢٧).

ويواصل كفره وزندقته في «كشف الأسرار» فيقول: «إننا لا نعبد إلهًا يقيم بناءً شامخًا للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم بهدمه بنفسه ويجلس يزيد ومعاوية وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس». (ص١٢٣).

فهل بعد هذا السب الواضح والطعن الجلي يشك مسلم عاقل في زندقته وكفره بعد أن طعن في الله- تعالى- وطعن في صحابة رسول الله ﷺ الأطهار.

٩- ويوافق محمد صادق الصدر الهالكَ الخمينيَّ في أقواله فيقول عن أبي هريرة رضي الله عنه إنه صحب النبي ﷺ ووضع على لسانه أحاديث كثيرة مما لم يروها غيره، وكان كثير الوضع، ولكنه لسوء حظه لم يكن ليحسن الوضع.
(الشيعة الإمامية ص١٤٣، ١٤٩).

ثم يواصل سبه للصحابة فيسب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيقول عنها: إنها كانت تؤذي النبي بأفعالها وأقوالها وسائر حركاتها. (المرجع السابق ص١٥٩).

هذا أخي في الله جزء يسير من غلو الرافضة في أئمتهم، وطعنهم الواضح في صحابة النبي الأخيار، فهل هناك وجه شبه بين عقيدة اليهود والرافضة في ذلك المجال؟ هذا ما سنوضحه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

والله من وراء القصد.

منهج السلف

في تفويض الصفات

الحلقة الثلاثون

خلاصة منهج السلف وطريقتهم في تفويض الصفات

إعداد /
محمد عبدالعليم الدسوقي

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، ومن والاه وبعد:

فنواصل حديثنا حول منهج السلف في تفويض الصفات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خلاصة منهج السلف وطريقتهم في تفويض الصفات

بما سبق تقريره من ضرورة التعرف على معاني الصفات وقصر التفويض فيها على كيفياتها، يستطيع الناظر إلى توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله بعين الاعتبار، أن يلمّ ويقف على أنواع عديدة من الخلل عند بعض الفرق في معتقد الصفات ضل بسببها خلق كثير، كما يتسنى له القيام بتفنيد ألوان كثيرة من الإلحاد، بين الله أصحابها وحذر منهم بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ (فصلت: ٤٠)، وقوله: ﴿ وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ ﴾ (الأعراف: ١٨٠). وهم وإن كان نجمهم قد أفل بما قيض الله لتفنيد شبههم أهل الحق، فإن آثار هؤلاء لا تزال باقية تطل بأعناقها وتبدو في اعتقادات الخلف من متأخري الأشاعرة ومن والاهم وحجل بقيدهم، الأمر الذي يستوجب بل ويفرض على أهل العلم أن تستمر جهودهم على طريق أسلافهم من أهل السنة في الذب عن معتقد الأمة حتى يسلم توحيدها من كل دخن ودخل.. ونذكر من صور الإلحاد التي بنى أصحابها عليها مذاهبهم في نفي الصفات وتعطيلها ومحاولة إدراك كنهها وكيفية قيامها به سبحانه، وتكلف ما ذكرناه بما تضمنه من نصوص أهل العلم بتفنيدها وإبطالها:

١- الجهمية الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى بذاته في كل مكان مخلوق، وقد جادلهم الإمام أحمد فأحسن جدالهم وكشف عوارهم قائلاً: «وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: بلى، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه؟ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقوال:

أ- إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه.

ب- وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم، كفر أيضاً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر.

جـ- وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله أجمع إلى قول أهل السنة. اهـ. (الرد على الجهمية بتصرف).

وقد تبع أولئك الجهمية غلاة النفاة والمعطلة ومقصدهم هو نفي وجوده سبحانه.. وقد كان قدماؤهم يتحاشون التصريح به وكان السلف يتفرسون فيهم ذلك وأنهم يبطنونه ولا يبوحون به، وقدمنا عن جماعة من السلف قولهم في أضرابهم ومن هم على شاكلتهم من الجهمية: «إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد»، وما أحسن ما قال محمود بن سبكتكين لمن وصف الله بذلك: «ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم». (التدمرية ص٤١).

٢- كما حكى الأشعري مقولة الجهمية تلك عن بعض المعتزلة وتبرأ منها في الإبانة وفي مقالات الإسلاميين، فقد ذكر في الأول منهما ما نصه: «وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً».
(الإبانة ص١٠٩).

كما ذكر في المقالات أن المعتزلة الذين طالما ارتبط اسمهم باسم الجهمية، اختلفوا «في ذلك فقال قائلون: إن الله بكل مكان بمعنى أنه مدبر لكل مكان، وقال قائلون: البارئ لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه، وقال قائلون: البارئ في كل مكان بمعنى أنه حافظ للأماكن وذاته مع ذلك موجودة بكل مكان، واختلفوا هل يقال إن البارئ لم يزل عالماً قادراً حياً أم لا يقال ذلك»، على مقالتين». (مقالات الإسلاميين ص٢١٢).

ومن المعلوم عن أهل الاعتزال أنهم قصروا إيمانهم في الصفات على ثلاث صفات فقط هي: العلم والقدرة والحياة، ونفوا ما عداها من نحو السمع والبصر لكونهما - على حد ما ذكروا - من عوارض الأجسام، وزعموا «أن معنى ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان/٢٨) راء بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره وهو رؤيته وهو كلامه وهو ابنه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً». (الإبانة ص١٥٨).

وقد بنى المعتزلة أساس مذهبهم هذا في التوحيد الذي هو عندهم أحد الأصول الخمسة على حجج داحضة مستقاة من الفلسفة الهندية واليونانية ومؤداها، القول بنفي الكثرة والتركيب وبوحدة الذات الإلهية وبساطتها من كل وجه، وأن هذه الثلاث المثبتة- على ما يقتضيه العقل بزعمهم- هي عين الذات(١)، وأن ما عداها زائد عن الذات ومؤذن- على حد زعمهم أيضاً- بتعدد القدماء لكونها غير الذات، وقد أداهم الحديث عن علاقة الصفات بالذات على هذا النحو المفضي إلى الكيف، أداهم إلى التفصيل في نعوت السلب.. ومما ذكروه في هذا ونقله عنهم الإمام الأشعري قولهم: «إن الله واحد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة.. ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم.. لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار.. عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء..إلخ»، فعطلوا بنفيهم المفصل هذا، رؤية الله وسائر صفاته وأسمائه وأفعاله، وعلى ما سبق عقب الأشعري بقوله: «فهذه جملة قولهم في التوحيد وقد شاركهم في هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين ولها تاركين». (مقالات الإسلاميين ص١٥٥، ١٥٦).

وقد مر بنا ما به تقام الحجة على مثل هذه الطريقة في التفصيل في نعوت السلب.

٣- الغلاة من النفاة والمعطلة وأهل الزندقة والفلاسفة وغيرهم ممن تأثروا بكلام الجهمية ومتبعي الأديان الأخرى، وقد أداهم إلى هذا الغلو في النفي، اعتقادهم في توحيد الله بوحدة واجب الوجود سبحانه من كل وجه، وهي فكرة مستقاة من الفلسفة الإغريقية، ومفضية إلى القول بإنكار الصفات الزائدة عن ذاته تعالى على حد زعمهم، ومفضية كذلك إلى التفصيل في نعوت السلب المؤدية بدورها إلى التعطيل المطلق، لكون هذه السلوب التي نعتوا بها الرب سبحانه على حد قول الحافظ حماد بن زيد فيما نقله عنه الحافظ الذهبي «نعوت المعدوم».
(العلو للذهبي ص١٠٧).

وقد اعتمد الأشعرى في الرد على هؤلاء وأضرابهم من المعتزلة قول عبد الله بن سعيد بن كلاب في علاقة الذات بالصفات بأنه لا يقال (هى هو)، ولا يقال: (هي غيره)، لأن ذات الله فوق أن تحيط بكنهها العقول.

٤- أيضًا فإن متقدمي المتكلمين ومتأخريهم

وتابعيهم ممن ينتسبون إلى الخلف وإلى أبي الحسن الأشعري، وهو منهم براء، أداهم اتباع طريقة الجهمية في النفي المفصل إلى قصر الصفات على سبع- بزيادة أربع صفات على ما قال به المعتزلة- وتعطيل وتأويل ما عداها، وإلى القول بأن الله تعالى «ليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله و.. ليس له فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال»(٢)، ويعني هذا النفي المستقى من كلام الجهمية ومن طريقتهم ومنهجهم في فهم الصفات، تكذيب ما صح عن الرسول ﷺ، فياويح من ترك ما هو معروف في الكتاب والسنة وآثر عليه الهوى فأعماه عن نور الوحي، فلقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ.. (النحل/ ٥٠)،.. لأن فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له، فهو العلي بالذات والعلو صفته اللائقة به، كما أن السفول والرسوب والانحطاط ذاتي للأكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه، والعلو والسفول حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه»، كذا ذكره الإمام الجويني في رسالته عن الاستواء والفوقية(٣)، وقد مر بنا ما به تقوم الحجة على من مال إلى هذه الطريقة وأثرها على منهج السلف في إثبات كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الهوامش

١ - والحق أنه حتى هذه الثلاث، تأثروا في نفيها بالجهمية والزنادقة، وأرجعوها إلى العلم الذي هو عين الذات، لكن «لم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك، فأتت بمعناه وقالت: إن الله عالم قادر حي.. من طريق التسمية، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة .. وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل العلاف: إن علم الله هو الله، فجعل الله تعالى علماً وألزم، فقيل له: إذا قلت إن علم الله هو الله فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك فلزمه المناقضة»، وتلك هي عبارة الأشعري الذي كثيراً ما يربط بين موقفي المعتزلة والجهمية بالنسبة لصفة العلم مع ما يبدو عليه قول المعتزلة من اتجاه نحو إثبات صفة العلم لله، وينظر في شأن ذلك الإبانة ص١٤٣، ١٤٤، ٣٠٤، ولا ننسى أن الأشعري كان في إحدى مراحل حياته معتزلياً، فهو من ثم أدرى وأعلم بما كان عليه القوم.

٢ - كذا في حاشية البيجوري على الجوهرة ص, ١٠٥

٣ - كما ينظر نص كلامه في مختصر العلو ص, ٧٦

إشهار

تم بحمد الله تعالى إشهار جماعة أنصار السنة المحمدية فرع نزلة عليان، وذلك طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م .

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى لفروع أنصار السنة المحمدية التوفيق والسداد.

عزاء

توفي في شهر شوال الماضي الدكتور / إيهاب بخاري، ابن الشيخ بخاري أحمد عبده رحمه الله، رئيس أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية، ونائب الرئيس العام سابقًا.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تسأل الله عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يلهم أهله الصبر. وإنا لله وإنا إليه راجعون

حدث في مثل هذا الشهر

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٦ من البعثة النبوية

أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان إسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

وأخرج ابن سعد عن صهيب قال: لما أسلم عمر رضي الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به. وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال: أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة.

(تاريخ الخلفاء ١/١٠٠).

رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع سنة ١٠هـ

قال محمد بن اسحاق: رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة فاقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفرًا وبعث أسامة بن زيد، فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بمرضه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده الله من رحمته وكرامته في ليال بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به رسول الله من ذلك فيما ذكر لي أنه خرج إلى بقيع الغرقد من جوف الليل فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك.

قال ابن اسحاق: عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي». فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». قال: قلت بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فبدئ برسول الله وجعه الذي قبضه الله فيه. (رواه أحمد ح١٦٠٤٠).

رجوع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من الشام بعد طاعون عمواس سنة ١٧ هـ

قال سيف بن عمر عن شيوخه قالوا لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه وفني خلق كثير من الناس حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك.

قلت: ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء وطابت قلوب الناس بقدومه وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام ولله الحمد والمنة. وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة قال: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله فبسطنا بينكم فيأكم ومنازلكم ومغازيكم، أبلغناكم ما لدينا فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم العروج وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤكم وما قاتلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم منكم شيئًا ينبغى العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، قال: وحضرت الصلاة فقال الناس: لو أمرت بلالاً فأذن، فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله ﷺ وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكره ﷺ. (البداية والنهاية ٧/٧٩).

قتل القائد النجيب قتيبة بن مسلم بزلة زلها سنة ٩٦هـ

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة بعد أخيه الوليد كتب إليه كتابًا يعزيه في أخيه ويهنئه بولايته ويذكر فيه بلاءه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلّب، ثم كتب كتابًا ثانيًا يذكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ويذم يزيد بن المهلب أيضًا، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة، وكتب كتابًا ثالثًا فيه خلع سليمان بالكلية وبعث بها مع البريد وقال له ادفع إليه الكتاب الأول فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني فإن قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثالث فلما قرأ سليمان الكتاب الأول واتفق حضور يزيد عند سليمان دفعه إلى يزيد فقرأه، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه فتغير وجهه ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد وأمر بإنزال البريد في دار الضيافة فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهبًا وكتابًا فيه ولاية قتيبة على خراسان وأرسل مع ذلك البريد بريدًا آخر من جهته ليقرره عليها فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان.

مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته وذكر لهم همته وفتوحه وعدله فيهم ودفعه الأموال الجزيلة إليهم فلما فرغ من مقالته لم يجبه أحد منهم إلى مقالته فشرع في تأنيبهم وذمهم قبيلة قبيلة وطائفة طائفة فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا وعملوا على مخالفته وسعوا في قتله وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود فجمع جموعًا كثيرة ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة من هذه السنة وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبنائه. (البداية والنهاية ٩/١٦٧).

ولادة الخليفة المنصور في ذي الحجة وولايته في ذي الحجة، ثم موته في ذي الحجة سنة ١٥٨هـ

ذكر عن إسحاق بن عيسى بن علي عن أبيه قال: سمعت المنصور وهو متوجه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة وهو يقول للمهدي عند وداعه إياه: يا أبا عبد الله، إني ولدت في ذي الحجة، ووليت في ذي الحجة، وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة، وإنما حداني على الحج ذلك، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزنك مخرجًا أو قال فرجًا ومخرجًا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحتسب. احفظ يا بني محمدًا ﷺ في أمته يحفظ الله عليك أمورك. وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحلال فإنه ثوابك في الآجل وصلاحك في العاجل، وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتبور، فإن الله لو علم أن شيئًا أصلح لدينه وأزجر عن معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه، واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمرَ في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادًا مع ما ذخر له عنده من العذاب العظيم فقال: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]. فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودين الله القيم فاحفظه وحُطْهُ وحَصِّنْه وذُبَّ عنه وأوقع بالملحدين فيه، واقمع المارقين منه، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمثلة بهم، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن، واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع في الدواء، وعف عن الفيء فليس بك إليه حاجة مع ما أُخلفه لك، وافتتح عملك بصلة الرحم وبر القرابة، وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية، واشحن الثغور واضبط الأطراف وأمّن السبل، وخص الواسطة ووسع المعاش، وسكّن العامة وأدخل المرافق عليهم، واصرف المكاره عنهم، وأعدّ الأموال واخزنها وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة والحوادث غير مضمونة، وهي من شيم الزمان، وأعدّ الرجال والكراع والجند ما استطعت. وإياك وتأخير عمل اليوم إلى غد فتتراكم عليك الأمور وتضيع في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً فأولاً، واجتهد وشمر فيها وأعدد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل، وباشر الأمور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل واستعمل حسن الظن بربك وأسئ الظن بعمالك وكُتّابك، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على بابك، وسهل إذنك للناس، وانظر في أمر النُّزّاع إليك ووكل بهم عينًا غير نائمة ونفسًا غير لاهية، ولا تنم فإن أباك لم ينم منذ ولي الخلافة ولا دخل عينه غَمْضٌ إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتي إليك والله خليفتي عليك. قال: ثم ودعه وبكى كل واحد منهما إلى صاحبه. (تاريخ الطبري)

استجيبوا لربكم

إعداد / شوقي عبد الصادق

الحمد لله، يسجد له من في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وسيد الناس، أدى أمانة ربه، وبلغ رسالته إلى خلقه من الجن والإنس، وبعد:

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ «الأنفال: ٢٤». استشهد البخاري على ذلك في صحيحه كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب بحديث عن أبي سعيد بن المعلى قال: «كنت في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾؟ ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أن أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن ؟ قال: «الحمد لله رب العالمين» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». «البخاري ٤٤٧٤».

وقال ابن حجر عن أهل العلم: إن إجابة النبي ﷺ في الصلاة فرض يعصي المرء بتركه وأنه حكم يختص بالنبي ﷺ، وأن إجابة المصلي دعاء النبي ﷺ لا تفسد الصلاة، صرح بذلك جماعة من الشافعية وغيرهم. اهـ. «فتح الباري، بتصرف».

ويؤيد هذا أيضًا ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، وذكر حديث جُرَيْج وهو مشهور وكان يصلي تطوعًا ولم يجب أمه ودعت عليه واستجاب الله دعاءها. فإذا كانت الاستجابة لله وللرسول بهذه المكانة وفي أداء الطاعات ففي خارج الصلاة أولى وأوجب ؛ لأن في هذه الاستجابة لله وللرسول الخير والحياة كما نطقت الآية: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾.

ويقول ابن كثير في تفسيرها: قال مجاهد: للحق، وقال قتادة: هو القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة. وقال السدي: ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر. «ابن كثير ٢/٤٠٨».

وقال الشوكاني: قال الجمهور: استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهٍ، ففيه الحياة الأبدية والنعمة السرمدية، وقيل المراد بقوله: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الجهاد فإنه سبب الحياة في الظاهر لأن العدو إذا لم يُغزَ غزا، ويستدل بهذا الأمر بالاستجابة على أنه يجب على المسلم إذا بلغه قول الله أو قول رسوله في حكم من الأحكام الشرعية أن يبادر إلى العمل به كائنًا من كان، ويدع ما خالفه من الرأي وأقوال الرجال، وفي الآية أعظم باعث على العمل بنصوص الشرع وترك التقيد بالمذاهب، وعدم الاعتداد بما خالف ما في الكتاب والسنة، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ معناه: بادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكنوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها بالموت الذي كتبه الله عليكم، وقيل إن هذا من باب الإخبار عن الله عز وجل بأنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك

الإنسان شيئًا إلا بمشيئة الله عز وجل.

«فتح الباري ٢ ص٢٩٩ بتصرف».

تعجيل الاستجابة

وهذه الاستجابة لله وللرسوله فرض على المسلم والمسلمة كما تقدم، ولابد من تعجيلها قبل فوات أوانها ؛ لقوله تعالى: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ «الشورى: ٤٧». ويقول الشوكاني: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد، أو لا يرده الله بعد أن حكم به على عباده ووعدهم به، والمراد به يوم القيامة أو يوم الموت. «فتح القدير ٤/٥٤٤».

فقد وجبت الاستجابة للرد للرسول قبل الأجل الذي لا يؤجل ولا يعجل لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية. قال: فقال النبي ﷺ سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل أجله، ولن يؤخر شيئًا عن أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، وعذاب في القبر، كان خيرًا وأفضل». «مسلم ٢٦٦٣».

استجيبوا يستجب لكم

استجاب الأنبياء عبر موكب الرسالات لربهم سبحانه فما سألوا غيره، وما نادوا سواه، وما فعلوا إلا ما يحبه ويرضاه، وما حكموا إلا بما شرعه وأمضاه، فنصرهم الله من قلة وفرج ما بهم من ضيق، وبالجملة استجابوا لربهم فاستجاب لهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ «الأنبياء: ٧٦- ٧٧». فهذا نوح عليه السلام يعبد الله ما له من إله غيره مهما طال به الأمد فهو على توحيده، ولم يناد غيره، ولم يستنصر سواه، فاستجاب له مولاه وقال: ونصرناه من القوم، ولنا أن نتأمل قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْقَوْمِ ﴾ ولم يقل على القوم ؛ لأنه عليه السلام لم يقاتل القوم حتى يقال انتصر عليهم، ولكن سلّمه الله وأغرقهم ونصره من القوم الكافرين، ونجاه وأصحاب السفينة، وأمة الإسلام تقاتل اليوم دفاعًا فقط وليس انتصارًا لأنها لم تحقق الاستجابة لربها كاملة، ويا ليتها دافعت.

وكذلك قال ربنا سبحانه عن أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ «الأنبياء: ٨٣- ٨٤». فكان نبي الله أيوب عليه السلام لا يأكل إلا الطيب، فلا يأكل الربا ولا يأتي الفواحش والشركيات، وبالجملة استجاب لربه فكشف ما به من ضر، أما الأمة اليوم- إلا ما رحم الله- حالها كما قال رسولها فيما رواه ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله».

«حسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٥١٠».

ولقوله تعالى: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾.

وكذلك قال ربنا عن يونس عليه السلام: ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

«الأنبياء: ٨٧- ٨٨».

وعن زكريا عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾.

وكذلك كان حال إمام الأنبياء وخاتمهم وسيد الأصفياء وصحابته الأنقياء؛ استجابوا لربهم فاستجاب لهم حتى بنوا دولة الإسلام في أقل من ربع قرن من الزمان، قال عنهم القرآن: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ «الأنفال: ٩». وعن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فمازال يهتف بربه

مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاتاه أبو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فانزل الله عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ «مسلم: ١٢/٨٤، ٨٥».

وقال النووي: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة، وقد كان الله وعده إحدى الطائفتين إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت وكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين، والشاهد من الحديث أن الصحابة الكرام ومعهم سيد الأنام قد استجابوا لربهم في فعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر، وقاموا بالدين خير قيام حتى وصفهم الرسول ﷺ كما جاء في الحديث بأنهم أعبد أهل الأرض ولو هلكوا أو أهلكهم الله لا يوجد في الأرض من يوحده ويعبده من البشر، فكانت استجابتهم لربهم أولاً وجزاهم الله عليها استجابةً منه سبحانه فأمدهم بالملائكة من السماء ونصرهم على الأعداء.

فإن أرادت الأمة نصرًا من الله ومددًا فلتستجب لربها أولاً كما استجاب نبيها والسابقون الأولون من سلفها، وهم قلة وعدوهم كثرة، فنصر القلة على الكثرة.

جزاء المستجيبين

يقول الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى ﴾ «الرعد: ١٨»، وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ «يونس: ٢٦»، وقال تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ «الأنفال: ٢٩»، وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ «الأنفال: ٤٠»، وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ «الرحمن: ٦٠».

جزاء المعرضين

يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ «طه: ١٢٤».

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ «الرعد: ١٨». ولأن النفس إذا لم تستجب لله وتُشغل بالطاعة شُغلت بالمعصية، لأن الشيطان له مع كل أمر من أوامر الله وكل نهي شأن، وإذا لم يستجب العبد لربه في الطاعة فيعملها استجاب لنفسه الأمارة بالسوء وللشيطان في القعود عنها، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ «الأعراف: ١٦- ١٧»، وإذا لم يستجب لربه فينتهي عن المعصية استجاب للشيطان فاضله ومناه وأغواه، قال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ «النساء: ١١٩».

وتكون نهاية الاستجابة للشيطان والإعراض عن الاستجابة للرحمن كما نطق بذلك القرآن: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ «إبراهيم: ٢٢».

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مكن للإسلام، وأحينا على الإيمان حتى نلقاك عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

تهنئة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة القلبية إلى الأستاذ / جلال عبد الحميد غالي ، لحصوله على درجة الماجستير (بعنوان: عقيدة اليوم الآخر في أديان الهند الكبرى وموقف الإسلام منها) بدرجة امتياز.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى له التوفيق والسداد والرقي.

الشيخ محمد بهجة البيطار

مفتي أنصار السنة الأول

١٣١١- ١٣٩٦هـ

١٨٩٤- ١٩٧٦م

إعداد / فتحي أمين عثمان

اسمه: محمد بهجة بن بهاء الدين بن عبد الغني البيطار أبو اليسار العالم الفقيه، والمصلح الأديب.

مولده: وُلد في دمشق ١٣١١هـ- ١٨٩٤م لأسرة دمشقية ذات علم، يرجع أصلها إلى الجزائر حيث هاجر جده الأعلى منها إلى الشام، وقد كان والده بهجة صوفيًا من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والحلاج، وغيرهم.

تعليمه: تعلم على يد جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ بدر الدين الحسني، وتأثر بشيخه جمال الدين القاسمي محدث الشام في ذلك الزمان، والذي كان معاصرًا للمحدث طاهر الجزائري (عالم سوريا)، والشيخ محمد الخضر حسين، ومحمد رشيد رضا (صاحب المنار).

قال الشيخ عاصم ابن الشيخ البيطار عن أبيه:

- أَمَّ وَخَطَبَ في جامع القاعة في حي الميدان، ثم في جامع كريم الدين المعروف بالدقاق بحي الميدان خلفًا لوالده وما تخلف ولا انقطع عن دروسه إلا لسفر أو مرض، وهذا شأن العلماء المخلصين لدعوة التوحيد.

ولما شارك في مؤتمر العالم الإسلامي سنة ١٣٥٤هـ والذي عقد بمكة المكرمة وحضره جمع من علماء المسلمين، استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود ليشرف على المعهد العلمي السعودي، فبقي مديرًا له خمس سنوات، تقلد خلالها مناصب علمية وقضائية.

ثم غلبه الحنين إلى دمشق وطنه، فعاد إليها ليعمل مدرسًا في المرحلة الثانوية، حيث درس في مدارس المقاصد الخيرية بعض الوقت.

- ثم عُين بدار الإفتاء السورية مدرسًا عامًا.
- كما عينته وزارة المعارف معلمًا في مدارسها.
- انتقل إلى الكلية الشرعية ودار المعلمين العليا.
- أوفد إلى الطائف ثلاث سنوات تولى خلالها إدارة دار التوحيد السعودية.

- عاد بعد مدة إلى التدريس في كلية الآداب بالجامعة السورية حتى أحيل إلى التقاعد وكان يدرس التفسير والحديث.

- بعد إحالته إلى التقاعد اقتصر نشاطه العلمي على المحاضرات التي كان يلقيها بكلية الشريعة والتدريس بوزارة الأوقاف.

إلى جانب ذلك كان يلقي أحاديث في الإذاعة المسموعة بسوريا.

- انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية بدمشق، والمجمع العلمي العراقي.

وكان رحمه الله واسع الاطلاع، معنيًا بالبحث العلمي، أصولي النزعة، سلفي المعتقد، حاضر البديهة، باسم الثغر، لين القول، رقيق الشعور.

- كان رحمه الله سببًا في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين منهم الشيخ علي الطنطاوي.

- وقد كان الشيخ بهجت البيطار صاحب نظر ثاقب في أحوال المسلمين في زمنه، حيث كان يرى أن سبب ذهاب ريح المسلمين يرجع إلى ذهاب أخلاقهم، كما أن معظم بلائهم راجع إلى أفعال كبرائهم وبذخ أثريائهم، وضعف علمائهم.

معاصروه : في مصر الإمام محمد حامد الفقي، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ أبو السمح، رحمهم الله.

وفي غير مصر عاصر كثيرًا من علماء المشرق والمغرب مثل الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد الله الخياط، والشيخ محمد بهجت بن محمود بن عبد القادر المعروف بالأثري، وشيخه الألوسي، والشيخ محمد نسيب الرفاعي.

وإذا كان تقي الدين الهلالي عالم المغرب قد كان له صلة بأنصار السنة المحمدية في زمنها الأول وله كتابات في مجلة الهدي النبوي، فإن الشيخ البيطار كان من أوائل من تولى الفتيا على صفحات مجلة الهدي منذ الأعداد الأولى لصدورها.

ومن أشهر فتاويه فتوى تتعلق بالزي للرجال والنساء، وكان ذلك عام ١٣٥٠هـ، وأفتى بالنهي عن لبس الشهرة والمخيلة، ونهى أن تلبس المرأة ما يصف بدنها، وتكلم عن النهي عن تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال، وتكلم أيضًا عن النهي عن لبس الأسود ولبس الأخضر والمزعفر، وذكر ما جاء في لبس الأحمر.

كما كان له أيضًا فتوى خاصة بلبس الأجانب من الفرنج ووجدت له فتوى عن يأجوج ومأجوج نشرت في مجلة الهدي النبوي.

إنتاجه العلمي:

«نقد عين الميزان»، «نظرة في النفحة الذكية»، «النفحة على النفحة والمنحة»، «الكوثري وتعليقاته»، «الرحلة النجدية الحجازية»، «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية»، «الصحابة الكرام بين السنة والشيعة»، «تاريخ فكرة إعجاز القرآن الكريم»، «تحقيق قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي»، تحقيق «حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر» للشيخ عبد الرزاق البيطار، وهو كما ذكرنا، «تفسير سورة يوسف» قد أكملها بعد وفاة شيخه رشيد رضا، وقد قام الشيخ محمد حامد الفقي بمتابعة التفسير ففسر الرعد وإبراهيم والحجر والنحل وجزءًا من الإسراء، «مسائل الإمام أحمد»، «أسرار العربية» للأنباري.

وله مقالات كثيرة نُشرت في عدد من المجلات، ولعدنان الخطيب رسالة عنوانها: «محمد بهجة البيطار حياته وآثاره».

ولأهمية الشيخ البيطار فقد تناولته أقلام كثيرة منها أحمد راتب النفاخ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ظاهر القاسمي في مقدمة كتاب كلمات وأحاديث.

وفاته: توفي رحمه الله بعد أن جاوز الثمانين من عمره، حيث توفاه اللهُ في غرة جمادى الآخرة ١٣٩٦ هـ- ١٩٧٦م، رحم الله الشيخ البيطار، فقد حمل لواء الدعوة السلفية في الشام حينما كانت الصوفية سائدة.

وفي الختام نرجو الله تعالى أن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا، وأن يخلفنا خيرًا منه، وقد علمت أن له ابنًا يقوم بالتدريس في معاهد دمشق الدينية فكان خير خلف لخير سلف.

وقفات شرعية مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد طالعتنا وكالات الأنباء والصحف بنبأ غرق مجموعة من الشباب المصري الطامح إلى الهجرة إلى إيطاليا للعمل بها، فنسأل الله عز وجل لهم المغفرة ولأهلهم الصبر، ولنا مع هذه الظاهرة الوقفات الآتية:

◻◻ الوقفة الأولى: حكم السفر والإقامة في ديار الكفر ◻◻

دار الكفر هي التي يحكمها الكفار وتجرى فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي نوعين:

١- بلاد كفار حربيين ؛ أي بينهم وبين المسلمين حرب.

٢- بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة.

أما حكم السفر والإقامة في ديار الكفر فعلى التفصيل التالي:

أولاً: اشترط أهل العلم فيمن يسافر أو يقيم في ديار الكفر شرطين هما:

الشرط الأول: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ لأن الكفار يوردون على المسلمين شبهات في دينهم، قال تعالى: ﴿ إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وذلك حتى يصير المسلم شاكًا متذبذبًا في دينه، كما قال قائلهم: «لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه إلى دين النصارى، ولكن يكفى أن تشككوه في دينه، لأنكم إذا شككتموه في دينه سلبتموه الدين وهذا كاف».

إعداد المستشار/

أحمد السيد إبراهيم

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات، فإذا انعدم دينه، سقط في بحر الرذائل الذي تموج فيه تلك البلاد من شرب للخمر وتعامل بالربى، والزنى بالنساء، والعياذ بالله.

ثانيًا: قسم أهل العلم السفر والإقامة بين الكفار إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أن يكون السفر مأمورًا به شرعًا وصاحبه مجاهد في سبيل الله حتى يرجع، وذلك إذا كان الذهاب إلى الكفار بقصد الدعوة إلى الله أو تعلم ما هو وسيلة إلى مرضاة الله وخذلان أعدائه.

الدليل على ذلك:

١- سفر النبي ﷺ إلى أهل الطائف يعرض الإسلام عليهم، وكانت كلها دار كفر في ذلك الوقت.

٢- بعث الرسول ﷺ بالرسل إلى ملوك أهل الأرض ومن حولهم وهم كفار، فقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، ودحية الكلبي إلى قيصر- وهو هرقل- ملك الروم، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك

مصر، وشجاع بن وهب بن أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب النصارى، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة.

القسم الثاني: أن يكون السفر مباحًا، وهو من كان سفره لحاجة دنيوية كتجارة أو علاج أو طلب العلم الدنيوي النافع للمسلمين، بشرط أن يتوافر فيه الشرطان السابقان، فيكون عارفًا لدينه بأدلته آمنًا من الفتنة مظهرًا لدينه وذلك بعداوة الكفار والبراءة منهم، قادرًا على التأثير في الكفار دون التأثر بهم.

الدليل على ذلك: سفر النبي ﷺ إلى الشام في تجارة يدل على جوازه.

وقد يُعترض على هذا الدليل: بأن سفره ﷺ للتجارة كان قبل النبوة فليس فيه حجة.

ويُقال: بأن النبي ﷺ لم يتدنس قبل النبوة بحرام، ولا اعتذر عن ذلك حين بُعث ولا منع أحدًا من الصحابة في حياته، ولا منع ذلك أحد من خلفائه بعد وفاته، فقد كانوا يسافرون في فك الأسرى، وفي حمل الرسائل إلى ملوك أهل الأرض، فقد أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة وهم أهل حرب للإسلام والمسلمين، فدل ذلك كما قال القرطبي رحمه الله على أن السفر لغرض مباح يكون مباحًا ولغرض مستحب يكون مستحبًا.

القسم الثالث: أن يكون سفره حرامًا وكبيرة من كبائر الذنوب: وذلك من كان سفره لحاجة دنيوية وهو عارف لدينه بأدلته آمن من الفتنة، ولكنه غير قادر على إظهار دينه، وتأدية شعائر الإسلام علانية وبحرية تامة، من فعل للواجبات وترك للمحرمات، وإظهار البغض والعداوة للكفار والبراءة منهم، ويجب أن يعلم المسلم أن المراد بإظهار الدين ليس معناه أن يترك الإنسان يصلي ولا يقال له اعبد الأوثان فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ولا يكرهون الناس على أن يعبدوا الأوثان- غالبًا- بل المقصود هو التصريح للكفار بالعداوة والبراءة من دينهم، كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام ومن معه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الدليل على ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩].

٢- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل، وقال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». قالوا: يا رسول الله، لم ؟ قال: «لا تراءى نارهما».

(رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أرسل سرية إلى قبيلة خثعم وكان بالقبيلة مسلمون يخفون إسلامهم عن قومهم المشركين فخافوا أن يقتلهم المسلمون ظنًا منهم أنهم من المشركين فاعتصموا بالسجود، فظن المسلمون أنهم سجدوا لغير الله فقتلوهم فأمر لهم النبي ﷺ بنصف الدية لأن هلاكهم كان لجناية أنفسهم بمقامهم بين

ظهراني الكفار فلم يعرفهم إخوانهم المسلمون، وبجناية المسلمين عليهم، ثم قال ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، ثم بين العلة بقوله: «لا تراءى نارهما» أي: لا يمكن التفرقة بينهما.

٣- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله». (رواه أبو داود وحسنه الألباني)، فالحديث محمول على من لم يستطع إظهار دينه.

القسم الرابع: أن يكون السفر ردة وخروجًا عن الإسلام، وهذا ينطبق على من رضي كفر الكافرين وأظهر الموافقة لهم، ومدح ما هم عليه من كفر واستحسن ذلك فوالاهم موالاة المحب لمحبوبه وركن إليهم وأنس بقربه منهم ولم يتميز عنهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال فهو منهم.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

الوقفة الثانية: إلى أي الأقسام ينتمي هؤلاء المهاجرون؟

بعد أن ذكرنا أقوال أهل العلم في حكم السفر والإقامة في ديار الكفر، يتضح أن الغالبية العظمى من المهاجرين إلى ديار الكفر قد انتفى في حقهم الشرطان السابق ذكرهما أو شرط واحد منهما، كما أن من توافر في حقه الشرطان فكثير منهم لا يستطيع إقامة شعائر دينه بحرية في تلك البلاد، وليس أدل على ذلك من قيامهم بأعمال محرمة في غالب الأحيان مثل بيع الخمور ولحم الخنزير، والمجلات الجنسية، ومنهم من يترك الصلاة بالكلية بدعوى عدم وجود وقت يصلى فيه أثناء العمل، ومنهم من يترك الجمعة بدعوى عدم وجود مساجد قريبة من مسكنه وعدم سماعه للأذان، ومنهم من يقدم على الزواج بالمشركات زواجًا مؤقتًا بغرض الحصول على الإقامة، ومن ثم فكثير من هؤلاء يكون سفره حرامًا وكبيرة من كبائر الذنوب، ولا سيما أن ديار الكفر ما فتئت تضيق على الإسلام والمسلمين، والدليل على ذلك ما قامت به فرنسا من حظر ارتداء الحجاب في مدارسها، وكذلك ما فعلته الدانمارك والنرويج من الاستهزاء بنبينا محمد ﷺ، ثم تبعتهما كثير من الدول الأوربية، بل هناك من يسافر إلى ديار الكفر فتتلقفه أيديهم ويصنع على أعينهم ليكون أحد دعاة التغريب في بلاد المسلمين.

الوقفة الثالثة: حكم الغرقى منهم

ثار جدال واسع بين فضيلة المفتي وغيره من العلماء والكتاب حول حكم هؤلاء الغرقى؛ فكان هناك إفراط وتفريط، فمنهم من وصمهم بالطمع وبأنهم ليسوا بشهداء، ومنهم من حكم لهم بالشهادة مستدلاً بقوله ﷺ: «الغريق شهيد». (رواه ابن عساكر في تاريخه وصححه الألباني في صحيح الجامع)، وبقوله ﷺ أيضًا: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله».

(أخرجه البخاري ومسلم).

والصحيح في المسألة أن نذكر الضوابط التالية:

الأول: لكي يحكم لشخص بالشهادة فلابد من أمرين:

١- الإسلام: فلا يحكم لكافر بالشهادة إذا غرق، حيث إن الشهيد تجب له الجنة والكافر محروم منها، فلا شهادة لكافر، قال تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩٢].

٢- أن يكون سفره سفر طاعة: فلا يحكم لمن مات متلبسًا بالمعصية وقد تحقق فيه سبب من أسباب الشهادة كالغريق مثلاً بالشهادة، فإذا صحب رجل امرأة ليزني بها فسقطت سيارته في البحر فمات الاثنان فلا يقال عنهما شهداء؛ لقوله ﷺ: «يُبعث المرء على ما مات عليه».

◘◘ الوقفة الرابعة: الأسباب التي أدت إلى هذه الحادثة ◘◘

١- قلة علم هؤلاء بحكم الشرع في مسألة السفر إلى ديار الكفر والإقامة بها.

٢- الانبهار بما عند الغرب من وسائل التقدم والتي جعلت قلوب كثير من الشباب تهفوا إلى إيثار ديار الكفر على ديار الإسلام في العمل واكتساب الرزق مع ما تتمتع به دول إسلامية كثيرة من مصادر للرزق جعلت الغربيين والآسيويين يتطلعون للعمل بها.

٣- تقصير الآباء في تربية أبنائهم وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصحيحة، وتفقدهم في حياتهم، فقد قال والد أحد الضحايا: «لم أعلم بسفر ابني إلا حينما علمت بوفاته غرقًا»!!

٤- ضعف الإيمان في نفوس كثير من الناس، وخاصة إيمانهم بأن الله هو الرزاق، فاعتقدوا أن مكثهم في ديارهم لن يأتيهم بالرزق مع أن كثيرًا من الشباب لم يغادروا بلادهم ومكثوا فيها ورزقهم الله عز وجل الرزق الوفير، ولم يتوفر لهم من الأموال ما لهؤلاء الفارين من ديارهم، فقد دفع الواحد منهم أكثر من ثلاثين ألفًا من الجنيهات ثمنًا لفراره من بلده وسفره إلى ديار الكفر، ولو قاموا باستثمار هذا المبلغ في بلدهم وتوكلوا التوكل على الله لكفاهم الله عز وجل حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٥- مخالفة ولي الأمر: فيجب طاعة ولي الأمر فيما ليس بمعصية، وحيث وضع ولي الأمر قواعد لتنظيم خط السير في الطرق برًا وبحرًا وجوًا، فيجب على الجميع احترامها، وهذا ما لم يحدث من أصحاب المراكب التي لا يرخص لها بالإبحار في أعالي البحار لعدم صلاحيتها لذلك، وكذا لقيامهم بتحميلها أكثر من سعتها ولاستخدامها في غير الغرض المرخص لها به- وهو صيد الأسماك- وقد طاوعهم الشباب في ذلك مع علمهم بخطورة وسيلة المواصلات هذه على أرواحهم مما جعلهم مقصرين في الحفاظ على أنفسهم مخالفين قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٦- التقصير في مراقبة المتاجرين بآمال الشباب ومحاسبتهم وردعهم فلولي الأمر تعزيرهم على فعلهم وإلزامهم الدية لقتلهم هؤلاء الشباب، أو إيقاع القصاص بهم إذا ثبت تعمد إلقائهم في البحر خوفًا من السلطات الإيطالية.

٧- عدم إحياء بيت مال المسلمين ومساعدة الشباب بتوفير سبل الحياة الكريمة لهم في بلادهم بدلاً من البحث عنها في ديار الكفر.

وفي النهاية نسأل الله عز وجل أن يرزق شباب المسلمين العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين لما يحب ويرضى، والله الموفق.

مسابقة
السنة النبوية

يعلن المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة عن إقامة (المسابقة الكبرى في السنة النبوية) للسنة الثانية، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مستويات المسابقة

١- المستوى الأول: حفظ كتاب متن عمدة الأحكام كاملاً.
٢- المستوى الثاني: حفظ ثلاثمائة وعشرة أحاديث (إلى آخر باب الصداق).
٣- المستوى الثالث: حفظ مائتين وسبعة أحاديث (إلى آخر باب الاعتكاف).
٤- المستوى الرابع: حفظ مائة حديث (إلى آخر باب ترك الجهر بالبسملة).

مع ملاحظة أن الأحاديث تحفظ نصوصها مضبوطة بالشكل ومعها معرفة معاني المفردات الغريبة، وما يستفاد من الحديث من أحكام.

والكتاب متوفر بالدور السابع بمقر مجلة التوحيد، من يسجل اسمه يحصل على نسخة الكتاب.

ثانياً: موعد إجراء المسابقة

يوم السبت	٢٢ صفر ١٤٢٩هـ	الموافق ٢٠٠٨/٣/١	اختبار المستوى الأول.
يوم الأحد	٢٣ صفر ١٤٢٩ هـ	الموافق ٢٠٠٨/٣/٢	اختبار المستوى الثاني.
يوم الاثنين	٢٤ صفر ١٤٢٩ هـ	الموافق ٢٠٠٨/٣/٣	اختبار المستوى الثالث.
يوم الثلاثاء	٢٥ صفر ١٤٢٩ هـ	الموافق ٢٠٠٨/٣/٤	اختبار المستوى الرابع.

ثالثاً: جوائز المسابقة

الفائزون / المستوى	الفائز الأول	الفائز الثاني	الفائز الثالث	الفائزون من الرابع إلى العاشر	الفائزون من الحادى عشر إلى العشرين
المستوى الأول	٣٠٠٠ جنيه	٢٥٠٠ جنيه	٢٠٠٠ جنيه	١٢٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه
المستوى الثاني	٢٠٠٠ جنيه	١٧٠٠ جنيه	١٥٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه
المستوى الثالث	١٥٠٠ جنيه	١٠٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه
المستوى الرابع	١٠٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه

مع تمنيات أسرة مجلة التوحيد بالتوفيق للجميع

بيان هام حول مسابقة القرآن الكريم

نظراً لتوافق المواعيد المعلن عنها في العدد الماضي لمسابقة القرآن الكريم مع امتحانات الفصل الدراسي الأول، فقد تقرر تأجيل موعد إجراء المسابقة على النحو التالي:

- المستوى الأول	١صفر ١٤٢٩ هـ	- ٢٠٠٨/٢/٩م
- المستوى الثاني	٢صفر ١٤٢٩هـ	- ٢٠٠٨/٢/١٠م
- المستوى الثالث	٣صفر ١٤٢٩هـ	- ٢٠٠٨/٢/١١م
- المستوى الرابع	٢صفر ١٤٢٩هـ	- ٢٠٠٨/٢/١٢م
- المستوى الخامس	٥صفر ١٤٢٩هـ	- ٢٠٠٨/٢/١٣م

والله الموفق

بادر .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء
من مالك ومن الزكوات أو
الصدقات لنشر التوحيد من
خلال المشاركة في الأعمال التالية :

- طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
- نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجميع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٥ سنة من المجلة.
- دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد .. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن
بانتظاركم

يمكنكم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي
على بنك فيصل الإسلامي
فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد